مصطفى محمود



قيقة البهائية

حَقِيقَةُ البَهَائِيَّة

مصطفى محمود

حَقِيقَةُ البَهائِيّة

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

البـاب



ما إن مات محمد عليه الصلاة والسلام وتحركت المشاعر بذلك الحب الطبيعى لآل البيت فقال البعض : إن علي بن أبي طالب أولى بالخلافة من أبي بكر . حتى انفتحت ثغرة دخلت منها الفتن ، وظلت تتسع وتتسع على مدى الأعوام الألف والأربعمائة ، واجتمع الأعداء من كل الملل يرمون الإسلام من هذه الثغرة ، ويتسللون منها لهدم البيت بحجة التشيع لآل البيت .

وبهذا الحب الزائف قال اليهودى عبدالله بن سبأ إن محمدًا لا يمكن أن يموت ، فمحمد إله ، وما كان الأنبياء جميعهم إلا مظاهر الألوهية من آدم إلى نوح إلى إدريس ، إلى موسى ، إلى عيسى إلى محمد ، فلما انتقل محمد قال ابن سبأ : إن الألوهية حلت فى على ، فلما قتل على قال : لم يقتل بل هو حى وإنه

يجيء فى السحاب والرعد صوته ، والبرق خنجره ، وإنه سيرجع إلى الأرض فيملؤها عدلا بعد أن ملئت جورًا ، وسرت هذه الأفكار سريان النار فى الهشيم ، وكانت البذرة الخبيثة التى أنبتت التشيع والباطنية .

وافترق التشيع إلى ثلاثين فرقة وأكثر ، يقول بعضها بالرجعة ، وبعضها بالتناسخ ، وبعضها بالحلول ، وبعضها بالتجسد ، وبعضها بألوهية على وبعضها بألوهية الأئمة ، وأكثرها بالإمام المختفى فى سرداب منذ ثلاثة عشر قرنا ليظهر ، ويكون مهدى آخر الزمان .. وضاع نقاء التوحيد فى هذا الخليط من التناسخ والحلول والتجسد والفيض والرجعة والغيبة .

ولم يأت هذا الخلط اتفاقًا ولم يولد مصادفة ، وإنما بكيد الكائدين من مختلف الملل التى غلبها الإسلام وأزاحها وكسر سلاحها وحطم عروشها ، فعادت بدورها تغزوه بأفكارها ومذاهبها لتفرق شمله وتمزق

وحدته ، وتشيع الفوضى الفكرية والبلبلة فى صفوفه .

من كان من المتآمرين على قتل عمر بن الخطاب ؟ إن التاريخ يذكر لنا كعب الأحبار اليهودى ، والهرمزان المجوسى ، وجفينة من نصارى الحيرة ، وأبو لؤلؤة المجوسى ..

لقد اشترك فى قتله كل خصوم الإسلام .

وما كانت مذاهب التناسخ والتقمص والحلول والتجسد والغيبة والرجعة إلا بعض التراث الفكرى لهؤلاء الخصوم ، تسللوا به إلى العقول لتخريبها .

وكان طبيعيًّا أن تكون إيران التى قهرها الإسلام بالسيف هى المنبت الخصب لكل بذور الحقد والتآمر ، وكان يساعد على ذلك مناخ من الفساد والفوضى والظلم .. وكان يحكم إيران آنذاك ملوك ضعاف ، ويصرف أمورها وزراء مرتشون ، وتعصف

بها الثورات والخصومات ، وكان أكثر أهلها من الشيعة الاثنى عشرية ، ينتظرون ظهور الإمام الغائب المختفى فى السرداب ، والبقية زرادشتيون ينتظرون ظهور موعودهم « بهرام شاه » ، أو يهود ينتظرون نزول عيسى أو مسلمون ينتظرون ظهور المهدى .. كل فرقة تنتظر غائبًا وترجو لها مخلصًا ..

* * *

وكان ظهور محمد عليه الصلاة والسلام اليتيم الأمى من قريش نبيًّا دون معجزة يدعيها سوى قرآن يتلوه أمرًا يثير الغيرة فى شباب كل أمة مغلوبة .. فيقول أكثر من واحد فى كل مكان ، ولماذا لا أظهر على الناس بكتاب .. وقد حفل التاريخ بعشرات بل مئات من هؤلاء المدعين ، اشتهر منهم مسيلمة الكذاب، والمختار بن عبيدالله الثقفى، وابن سمعان ، وعمرو بن حرب ، وأبو منصور العجلى ، وابن سعيد البجلى ، وأبو خطاب

الأسدى ، والمقنع القصار ، وابن بهرام الجبائى ، وأبـو القاسم النجـار ، وأبو مسلم السـراج وابن خرب الكندى ، وأبو مسلم الخرسانى ، ومئات غيرهم ، انتهوا إلى المحارق والمشانق والمصحات العقلية ، وكان بعضهم أصحاب مكر وحيلة ، جمعوا حولهم الناس وجندوا الأتباع ، وجيشوا الجيوش وأثاروا الفتن .. ولم يتوقف السيل .. وكلما اشتدت الأزمات بالناس وحاصرتهم الهموم وسحقتهم المظالم ، ازداد عدد الحالمين الملتاثين وكثرت الهلاوس ، كان هذا حال إيران ومناخها النفسى فى تلك الفترة من القرن التاسع عشر .. وكنت تسمع صرخات الدعاء والابتهال فى المساجد .. اللهم طال الاصطبار ، وشمت بنا الفجار ، وصعب علينا الانتظار ، اللهم عجل لنا بظهور الموعود ..

* * *

وكان الشيخ أحمد الأحسائى يجلس فى مسجد

كربلاء ، وحوله كوكبة من المريدين يبشرهم بقرب ظهور الموعود ، ويؤكد لهم أن ميقاته قد دنا ، وبشاراته أهلت ، ومات الأحسائى ليخلفه الشيخ كاظم الرشتى ، ليعزف على نفس الوتر ويبشر بقرب ظهور القائم .

فى هذا الجو الأسطورى من الأشواق الملتهبة ، ولد الميرزا على محمد عام ١٨١٩ فى شيراز ، وعاش طفولته وصباه فى هذه الهلاوس ، وكان يصعد على سطح البيت فى حر الظهيرة ، ويجلس عارى الرأس يحملق فى قرص الشمس ، يغمغم بالأوراد الصوفية ، ويهمهم بالحروف والطلاسم السوريانية حتى يغشى عليه ، فإذا جاء الليل عكف على كتب التنجيم والسحر وتسخير روحانيات الكواكب .. وكان يلازمه شاب آخر على مثاله هو السيد جواد الطباطبائى ، وكان يحضه على هذه الرياضات ، ويهيج أشواقه ويوهمه بأنه يرى من سيماه ومحياه

الجميل الصبوح أنه سيكون ذلك الموعود الذى أخبر كاظم الرشتى بقرب ظهوره .

ويذكر المؤرخون أن الميرزا على محمد لازم الرشتى وتتلمذ عليه سنتين كاملتين ، وهناك تعرف على زميله فى الدرس الملا حسين البشروئى .. واعتكف الميرزا فى المسجد ، ودخل الخلوة ليخرج منها معلنًا أنه الباب ، « الباب الموصل إلى حضرة الإمام الموعود » وأنه وكيله وسفيره بين الخلق .

وبعد شهور يعود الميرزا إلى شيراز ، ويلحق به الملاحسين البشروئى .

ويقول مؤرخ البهائية : وبينما كان الملاحسين البشروئى ماثلا أمام حضرة الباب ، إذ أعلن له بغتة أنه هو المهدى القائم ، صاحب الزمان ودعاه إلى الإيمان به ، وكان عمر جنابه حينئذ خمسًا وعشرين سنة .. وقد اعتبر ذلك اليوم عيد المبعث ..

وكان البشروئى هو أول المبشرين بظهور المهدى ، وقد أنعم عليه المهدى بلقب باب الباب ، وكانت علامة المهدوية الصحيحة عند الشيوخ أن يقدم لهم المهدى تفسيرًا جديدًا لسورة يوسف ، وأن يكشف لهم عن حقيقة الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ، فماذا قال الباب الشيرازى ؟ قال : إن يوسف هو الحسين ، وإن الشمس فاطمة ، والقمر محمد ، والأحد عشر كوكبًا هم أئمة الحق فى أم الكتاب ، الباكون سجدًا منذ الأزل على سجن يوسف ومقتل الحسين .. وخر البشروئى ساجدًا لما سمع تفسير الباب وسجد بقية الأتباع خلفه .

وهكذا بدأت الأسطورة .

واجتمع حول الباب ثمانية عشر من الأصحاب سماهم « حرف الحى » منهم الملاحسين البشروئى ، والملا على البسطامى ، والملا محمد على البارفروشى الملقب بالقدوس ، والمرزايحيى صبح الأزل ، والملا

القزوينى ، وقرة العين الطاهرة زرين تاج ، والملا اليزدى كاتب وحيه ، والملا الدروبيلى وغيرهم .

ومن أتباع البابية الأوائل فى ذلك الوقت كان الميرزا حسين على المازندرانى .. وقد خلعت عليه قرة العين لقب بهاء اللهِ وبرغم أنه لم يكن حرفًا من حروف الحى الثمانية عشر إلا أنه كان يدخر لنفسه دورًا أكبر وأخطر .

وذهب البشروئى إلى خراسان ، ليقود الناس فى مواكب حاملين الرايات السود مصداقًا للحديث النبوى ، إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوًا على الثلج ، فإن فيها خليفة الله المهدى .. وهو حديث نبوى ملفق .

وتجاوبت إيران بأصداء الدعوة الجديدة من أصفهان إلى خراسان ، ومن بوشهر إلى تبريز ، ومن طهران إلى مازندران ، وصار أمر الباب الشيرازى

موضوع البحث والمناظرات ، والأخذ والرد والقبول والإنكار ، واستفحل أمره واستشرى خطره ، فأمر حاكم شيراز باعتقاله ، وجذب من مجلسه وضرب بعض اللطمات ، فإذا به يتراجع عن دعاواه ويعلن البراءة من كل ما نسب إليه من الإمامة والمهدوية ، وصعد على منبر المسجد وأعلن توبته ، وحلف على نفسه بأن لا يخرج من بيته ويبقى معتكفًا فيه .

وتاب مرة أخرى عن دعاواه فى تبريز ، بعد أن جرت بينه وبين علماء الشيعة مناظرة طويلة ، وضرب ثمانى عشرة ضربة على قدميه .

ولكن ما لبث أن عاود نشاطه ، واستأنف كتابة الألواح التى يدعى أنها تنزل عليه ، ثم ادعى الربوبية وقال : إنه النقطة « والنقطة » فى زعم الباطنيين هى أول هيكل يتجسد فيه الله ويظهر ، وهو بذلك يدعى أنه أول ظهور للرب ، وأن كل الموجودات تستمد وجودها منه ، وأنه واسطة

التصريف والهيمنة على العالم ، وأثارت هذه الدعوى ثائرة المسلمين .

واجتمع عدد كبير من العلماء والفقهاء ، بلغ عددهم أكثر من سبعين عالمًا وكفروه ، وأعلنوا وجوب قتله ، فأمر الحاكم بسجنه فى شيراز ثم نقله إلى قلعة ماكو فى أذربيجان ، ثم إلى قلعة جهريق .

واجتمع أكثر من ثمانين بابيًا وعقدوا مؤتمرًا فى بيداء بدشت على نهر شهرود ، وقامت قرة العين شاعرة قزوين الجميلة ، التى اشتهرت بالفصاحة والأنوثة الطاغية ..

قامت فيهم خطيبة تدعو إلى نسخ الشريعة المحمدية وإبطالها ، وأعلنت أن الزمن هو زمن الفترة ، « الفترة » بين الشريعة التى نسخت والشريعة الجديدة التى لم تظهر ، وهو زمن يحل فيه كل شىء .

اسمعوا أيها الأحباب والأخيار . اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب ، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو ، وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل . وإن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد ، وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة . حتى لا يبقى إلا دين واحد ، هو دينه الجديد وشرعه الحديث الذى لم يصل إلينا منه إلا نزر يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم - وقولى هو الحق ـ لا أمر اليوم ، ولا تكليف ولا نهى ولا تعنيف ، وإنا نحن الآن فى زمن الفترة ، فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ، ومزقوا الحجاب بينكم وبين نسائكم ، بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال .

وأخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة ، فما هن

إلا زهرة الحياة الدنيا ، وإن الزهرة لابد من قطفها وشمها ، لأنها خلقت للضم وللشم ، بلا حد وبلا كم ، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم إذ لا ردع الآن ، ولا منع ، ولا صد ولا حد ، فخذوا حظكم من هذه الحياة ، فلا شىء بعد الممات .

وأفتت أنه يجوز للمرأة أن تتزوج من تسعة .

وادعت أنها مظهر فاطمة بنت النبى وزوجة على ، وقالت : حكم عينى حكم عينها ، وكل شىء ألقى عليه نظرتى يطهر ويصير حلالا ، وخلعت عن وجهها الحجاب ، ودعت إلى الحرية ورفع التكاليف .

وقد اشتهرت قرة العين زرين تاج بشعرها الغزلى المكشوف ، وكلمة « زرين تاج » بالفارسية معناها ذات الشعر الذهبى ، وكان شعرها المرسل يحيط رأسها كتاج من ذهب .

ومن أبيات شعرها التى نقلناها عن كتب البهائيين :

إن جسمى بجميع أعضائه صار كالناى يحكى هجرك .

ياليت تضع قدمك على فراشى ذات ليلة بكرمك .

فأطير فرحًا وسرورًا بدون أجنحة .

وقالت عن نفسها : إنها الصور الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم وإنها من علامات الساعة .

وقد بلغت أسماع الباب فى سجنه أحداث مؤتمر يدشت ، وما قالته قرة العين من ضرورة نسخ الشريعة ، فأقرها على ما قالته (ليت شعرى من كان التابع ومن المتبوع) .

ولكن القرويين المسلمين الذين رأوا ما يفعله هذا

الرهط من الرجال والنساء فى مؤتمر بدشت ، وما يباشرونه من انحلال ، هجموا عليهم وقلعوا خيامهم ، وطردوهم ، وأمطروهم بالحجارة .

وفى تلك الأيام مات الملك محمد شاه ، وخلفه على عرش إيران ناصر الدين شاه ، ورأى قادة البابيين ، وعلى رأسهم الملاحسين البشروئى ، باب الباب ، والملا البارفروشى القدوس ، أن فرصتهم قد حانت للانقضاض على عسكر الحاكم ، وإسقاط النظام لمصلحتهم ، فعسكروا فى قلعة الطبرسى ، وجلبوا السلاح الكثير ، ويقول محمد مهدى خان فى كتابه مفتاح باب الأبواب : إن الحكومة القيصرية الروسية هى التى كانت تزود البابيين بالأسلحة ليقاتلوا المسلمين ، وتزودهم بالمدافع والمال والعتاد وتدربهم على فنون الحرب ، وكان قنصل روسيا يتدخل بنفسه كل مرة يسجن فيها الباب ، ليتوسط للعفو عنه ، وجعلت روسيا من المدينة عشق آباد ،

المتاخمة للحدود الإيرانية ، مهربًا ومأوى للبابيين اللاجئين والفارين ، وبنوا لهم أول معبد بابى (الكواكب الدرية ص ٤٩٠) .

وحفر البابيون الخنادق حول قلعة الطبرسى ، وأرسلوا عرائض للخداع والتمويه لقائد الحامية الإسلامية ، بأنهم رسل سلام ، وأنهم رهط من الضعفاء المنكسرين ، لا غاية لهم إلا نشر المحبة بين الناس ، ثم انقضوا ليلا على عسكر الحامية فأوسعوهم طعنًا وقتلا ، وحزوا رقابهم وأبادوهم ، وشرعوا يغيرون على القرى المجاورة ، واتسعت الفتنة وتفاقم خطرها ، فأرسل الأمير مهدى قلى حاكم مازندران نجدة من الجيش والأسلحة والمدافع ونشبت المعركة ، وقاتل البابيون بجسارة ، وكانوا يصيحون : جاء صاحب الزمان ، جاء صاحب الزمان ، نحن سلاطين الحق ، وسيكون العالم كله تحت أرجلنا ، وستخضع لنا كل الأمم .

وكان النصر فى البداية لهم ، ثم دارت عليهم الدائرة ، وقتل قائدهم الملاحسين البشروئى ، باب الباب ، وحاصرت الحامية الإسلامية القلعة وضربتها بالمدافع والمنجنيق ، ونفذت المؤن والذخائر والأطعمة ، وصار البابيون المحاصرون يأكلون الحشائش والأعشاب ، ثم انهاروا ودب فيهم الوهن والفتور ، وطلب القدوس الاستسلام ، وأعلن البراءة من الملة البابية ، ولعن الميرزا وسبه على رءوس الأشهاد ، وحط كل الوزر على عاتق البشروئى القتيل ، وقال : إنه هو سبب الفتنة ورأس البلاء ، واستسلمت الشرذمة البابية ، وسيق القدوس مع رفاقه الثمانية قادة الفتنة ، فأعدموا بعد أن عذبوا عذابًا شديدًا ، وبعد أن بصق كل واحد فى وجه الآخر ، وأنكر نفسه وملته ، كما قتل الميرزا يحيى الدارابى الملقب بالوحيد ضربًا بالعصى ، وكان آخر هذه المعارك هى معركة زنجان ، التى قتل فيها الملا الزنجانى الملقب بالحجة ، وبلغ عدد القتلى من

البابيين أكثر من ألفين وخمسمائة بابى ، وماتوا كلهم وبعضهم يلعن بعضًا ، وكلهم يسبون حضرة الباب ، وما جلبه عليهم فيما عدا شاعرة قزوين قرة العين زرين تاج ، التى كانت الشجاعة الوحيدة التى لم تأبه للتعذيب ، وماتت ثابتة على ملتها وخنقت وأحرقت على المحرقة .

أما الباب والنبى وحضرة النقطة والرب الميرزا على محمد الشيرازى فقد كان أجبنهم جميعًا ، وأول من انهار وسجد مرتجفًا يقبل الأرض بين يدى جلاديه ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وخاتم أنبيائه ، ولكن التوبة هذه المرة جاءت متأخرة ، وسيق الرب وحضرة النقطة فى السلاسل ، ومعه كاتب وحيه الملا اليزدى فى شوارع تبريز إلى ساحة الإعدام .

ولما رأى اليزدى هذا المنظر الرهيب أخذه الرعب والهلع ، وبدا يسب الرب وحضرة النقطة ،

ويلعن اليوم الذى استكتبه فيه ذلك الهراء ، وبصق فى وجه ربه وسيده ، وشفعت له تلك البصقة فأطلق سراحه ، وسيق الباب ومعه الملا الزنورى ، فعلقا بحبال من الليف ، وحضر مشهد الإعدام القنصل الروسى ، وكان قد رشا الكتيبة التى تطلق النار ، فأطلقت النار على الحبل الليفى، فسقط حضرة النقطة وسط الدخان ثم ذاب واختفى ، ولكن التمثيلية التى كان القنصل الروسى قد أجاد إعدادها لم تفلح ، لأن الجنود انطلقوا يبحثون عنه كالمجانين ، حتى وجدوه مختبئًا فى المراحيض ، فأعادوه تعليقه ، وجلبوا كتيبة أخرى لإطلاق النار ، وهذه المرة اخترقت جسم الرب وحضرة النقطة عشرون رصاصة ، فمزقته وأسقطته قتيلا يتخبط فى دمه .

وألقيت الجثة فى حفرة ، وقيل إنها سرقت ونقلت لتدفن فى جبل الكرمل بفلسطين ، حيث المزار

المقدس والكعبة التى يحج إليها البهائيون .. وكان عمر الباب حين مقتله واحدًا وثلاثين عامًا .

وهكذا طويت صفحة الباب ، وانتهى الفصل الأول من قصة الظهور الربانى الأول حضرة النقطة ، التى جاء منها بهاء الله الميرزا حسين على المازندرانى ثم من بعده عبد البهاء عباس أفندى فى قصة مثيرة تسلسلت فصولا .

قرآن البابية وشريعتها

قال الباب : أنا أفضل من محمد ، كما أن قرآنى أفضل من قرآن محمد ، وإذا كان محمد يقول بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن ، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآنى (مفتاح باب الأبواب ص ٢٠) وقال أيضا : إن البيان حجتنا على كل شيء يعجز عن آياته كل العالمين ..

وقال مخاطبًا علماء المسلمين : إن نبيكم لم يخلف بعده إلا القرآن ، فهاكم كتابى « البيان » فاتلوه واقرأوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن ، وأحكامه ناسخة لأحكام القرآن (بهائى باب ص ٨٨) .

هذا كلام حضرة النقطة الباب الشيرازى عن كتابه البيان .. فلنقرأ معًا فقرات من هذا الكتاب

بنصها من كتب البابيين بكل حياد .

إننى أنا الله الأسلط الأسلط ، والأثبت الأثبت ، والأغيث الأغيث . تبارك الله من سلط مستلط رفيع ، تبارك الله من وزر متزر وزير ، تبارك الله من حكم محتكم بديع ، تبارك الله من جمل مجتمل جميل .

تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ ، تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ ، تبارك الله من بدء مبتدئ بدیء .

تبارك الله من فخر مفتخر فخير ، تبارك الله من ظهر مظهر ظهير ، تبارك الله من قهر مقهر قهير .

تبارك الله من غلب مغتلب غليب ، تبارك الله من علم معتلم عليم .

ويقول فى لوحه الأول « شئون الحمراء » .

« إنا قد جعلناك جليلا للجالين ، وإنا قد جعلناك

عظيمًا عظيمانًا للعاظمين ، وإنا قد جعلناك نورًا نورانًا للناورين ، وإنا قد جعلناك رحمانًا رحيمًا للراحمين ، وإنا قد جعلناك تمامًا تميمًا للتامين ، قل إنا قد جعلناك كمالاً كميلا للكاملين ، قل إنا قد جعلناك كبرانًا كبيرًا للكابرين ، قل : إنا قد جعلناك عزانًا عزيزًا للعازين ، قل : إنا جعلناك ظهرانًا ظهيرًا للظاهرين ، قل : إنا جعلناك حبانًا حبيبًا للحابين قل : إنا قد جعلناك شرفانًا شريفًا للشارفين ، قل : إنا جعلناك سليطًا للسالطين . قل : إنا قد جعلناك ملكانًا مليكًا « للماكلين » .

(مفتاح باب الأبواب ٢٧٨)

قل : إنما البيت ثلاثين حرفًا إن أنتم تعربون ، لتحسبون على عدد الميم ثم على أحسن الحسن تكتبون وتحفظون ، ذلك واحد الأول أنتم بالله ، تسكنون ، ثم الثانى أنتم فى كل أرض بيت حر بنيون ، ولتلطفن كل أرضكم وكل شىء على

أحسن ، ما أنتم مقتدرون ، لئلا يشهد عينى على كره أن يا عبادى فاتقون .

(الباب الأول والثانى من الواحد السادس من الباب) .

ويقول فى حرف « الألف » مبينًا ومفسرًا لكل جزء من أجزائه فى تفسير هذه السورة : « ثم الألف القائمة على كل نفس ، التى تعالت واستعالت ، ونطقت واستنطقت ، ودارت واستدارت ، وأضاءت فاستضاءت ، وأفادت واستفادت ، وأقامت واستقامت ، وأقالت واستقالت ، وسعرت واستسعرت ، وتشهقت واستشهقت ، وتصعقت واستصعقت ، وتبلبلت واستبلبلت ، وأن فى الحين أذن الله لها فتجلجت ثم فاستلجلجت ، وتلألأت ثم فاستلألأت ، وقالت بأعلى صوتها تلك شجرة مباركة طابت وطهرت ، وزكت وعلت ، نبتت بنفسها من نفسها لنفسها إلى نفسها » .

(تفسير سورة الكوثر لعلى محمد الشيرازى الباب) .

ويكتب للملا البشروئى لوحًا فى تفسير سورة يوسف .

« ولا يقولوا كيف يكلم عن الله من كان فى السن خمسة وعشرونا ، فورب السماء والأرض إنى عبد الله أتانى البينات من عند بقية الله المنتظر أمامكم ، هذا كتابى قد كان عند الله مسطورًا فى أم الكتاب بالحق على الحق مسطورًا ، قد جعلنى الله مباركًا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والصبر مادمت فيكم على الأرض حيًّا ، وإن الله قد أنزل له بصورة من عنده ، والناس لا يقدرون بحرفه على المثل دون المثل تشبيرا » (٢٠٤) فأى عبارة هذه وأى تركيب وأى بناء لغوى .. « لا يقدرون بحرفه على المثل دون المثل تشبيرًا » محاولا بذلك تقليد القرآن فى آيته

٨٨ سورة الإسراء .. ﴿ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ وشتان بين الأصل والتقليد .

وهذا الكتاب هو معجزة الرجل الوحيدة وحجته التى لا يملك سواها .

ويقول تلميذه بهاء الله فى لوح أحمد ص ١٥٤ ، « إنه لسلطان الرسل وكتابه البيان أم الكتاب » .

ويقول حضرة النقطة الباب الشيرازى عن كتابه البيان .

فلتمحون كل ما كتبتم ولتستدلن بالبيان وما أنتم فى ظله تنشئون .

(الباب السادس من الواحد السادس من البيان) .

ويقول فى جراة عجيبة وصلف أعجب : لا يجوز

التدريس فى كتب غير البيان ، ولا تتعلمون إلا بما نزل فى البيان أو ما ينشئ فيه من علم الحروف وما يتفرع من البيان ، ولا تتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون . (الباب العاشر من الواحد الرابع من البيان) .

وكان أتباعه يحرقون المصاحف اكتفاء بما نزل فى البيان .. مع أنه أبعد ما يكون عن البيان ، بل هو عماية وتخليط وركاكة ، وكم هائل من الأخطاء النحوية ، ولقد فوتح حضرة النقطة والمظهر الأول للربوبية الميرزا على محمد الباب فى هذا الكم الهائل من الأخطاء النحوية فى كتابه فقال موضحًا .. إن الحروف نظرًا لما اقترفت من خطيئة فى الزمن الأول ، فقد عوقبت على خطيئتها بأن قيدها الله بسلاسل الإعراب وحيث إننا جئنا رحمة للعالمين ، فقد حصل العفو عن كل المذنبين والمخطئين ، حتى الحروف والكلمات ، فأطلقها الله من سجن

الإعراب ومن قيود النحو ، وتركت لتذهب كيف تشاء حرة من وجوه اللحن والغلط .

والرد هو سفسطة عجيبة ومغالطة أشبه بالنكتة والتظرف ، وقس على ذلك ما يفعله الله بمقتضى تلك الرحمة ، حينما يطلق ملامحنا أيضًا من قيود المنطق الجمالى ، فتأتى ملامحنا كيف شاءت بلا قيد ، فيأتى الفم مكان الشرج ، والرأس مكان البنكرياس ، والعين فى القفا .. يأتى هذا بمناسبة العفو الشامل اللائق بنزول حضرة النقطة الميرزا على محمد الباب .. وينسى حضرة الباب أو يتناسى أنه يغالط ، وأن أحكام الإعراب ليست قيودًا بل هى مقتضيات الجمال اللغوى ، وأنها النظام فى مقابل الفوضى ، والجمال فى مقابل القبح ، وتعالى ربنا أن يأتى بالقبح ويأمر بالقبح ويأمر بالفوضى ، أو ينزل كلاما ركيكا .

ولكن حضرة النقطة وقع فى مطب ، فحاول أن

يخرج منه بالمكر والسفسطة . وقد علم البهائيون من بعده ركاكة هذه الكتب فلم يطبعوها ، وحرصوا على إخفائها ، ولجأوا إلى عبارة ماكرة ، جعلوها شعارًا لهم هى وصيتهم الواحد للآخر .

« استر ذهبك ومذهبك .. والحقيقة أنهم يسترون حقائق المذهب ويخفون كتابات حضرة الرب ، لأنها فضائح وليست جواهر ولا ذهبًا ولا صفيحًا .

وقد انتشرت هذه المذاهب فى أوربا وأمريكا ، لجهل الناس هناك بالعربية ، ولأنهم لا يكشفون من مذاهبهم إلا البضاعة التى تروق فى سوق الأجنبى .. مثل المحبة والسلام ونبذ الحروب ووحدة العالم ، ووحدة اللغات والمساواة بين الرجل والمرأة ، وشرعية الاختلاط ، وخلع الحجاب ورفع التكاليف ، وهى دعاوى سنناقشها بتوسع فى حينها .

وخير دليل على كلامنا أن البهائيين ورثة الباب ،

لا يطبعون كتابًا واحدًا من كتب الشيرازى .. وكل
ما طبع ونشر كان من طبع المستشرقين الدارسين ..
والسؤال المحير .. لماذا لم يكتب الباب الشيرازى
بالفارسية التى يتقنها .. والجواب البديهى أنه لم يكن
عنده ما يقوله .. ولو أنه كتب بالفارسية لافتضح
أمره .. فلجأ إلى هذه العربية الركيكة وإلى هذا
التخليط المعقد ، ليختفى وراء هذه التعمية
والإغماض والإبهام والطلاسم ، ليسهل عليه بعد
ذلك الاستعلاء والادعاء بأنه متربع على عرش
السر ، ينطق بالدر ولكن الناس لا يفهمون .. ولقد
انتشرت الديانة البابية فى إيران الفارسية ، بفضل
هذا الأسلوب الماكر فى المخاطبة ، فأكثر الناس
هناك أعاجم لا يعرفون العربية ، ولا يستطيعون
اكتشاف ضعف الرجل وضعف كتابه .

* * *

والسؤال الثانى .. هل رفع الله قواعد اللغة وبدل

أحكامها من أجل الشيرازى وحده .. ؟

ولماذا نرى بهاء الله (حسين على المازندرانى) يحاول أن يحسن من أسلوبه .. ثم عباس أفندى من بعده يحاول أن يحسن أكثر ويدرس النحو والإعراب أكثر .. بل إنا لنرى الجلبائيجانى أكبر داعية للبهائية يرفض كتاب « المستيقظ » لصبح الأزل ، خليفة الباب والمنافس الوحيد لبهاء الله ، بحجة ضعف التعبير والمخالفة لقواعد النحو .. فلماذا لم يحاسب حضرة النقطة وصاحب أم الكتاب الميرزا الشيرازى بما حاسب به خليفته ؟ أم أن المسألة مصالح ؟ وحينما اقتضت المصلحة ضرب المنافس الوحيد لبهاء الله فى خلافته للباب ، هنا فقط كانت المحاسبة واجبة ..

* * *

ولكن أخطاء الباب فى كتابه المنزل لم تكن فقط أخطاء لغوية ، أو نحوية ، أو تركيبية ، ولكن كانت

أخطاء فى المبنى وفى المعنى . واقرأ له ما كتب فى دلائل السبعة (ص ١٥٥ بهائى باب) : فانظر أمة داود ربوا فى أحضان الزبور خمسمائة سنة ، حتى إذا أدركوا الكمال وبلغوا الذروة جاء وقت ظهور موسى ، (والمعلوم أن داود صاحب الزبور جاء بعد موسى وليس قبله بخمسمائة سنة) .

ولما سئل عباس أفندى عبد البهاء فى هذا الخلط ، لجأ إلى عذر أقبح من الذنب فقال : إن داود كان داودين .. داود قبل موسى وداود بعد موسى ، ولو أنه سكت لكان أشرف له .

وقد رأينا كيف تدرج الميرزا الشيرازى فى الادعاء ، فبدأ بالإعلان أنه « الباب » إلى المهدى المنتظر ثم ما لبث أن أعلن المهدوية ، وقال إنه هو القائم وإنه المهدى ثم ادعى أنه نبى الوقت ثم ادعى أنه كان النبى مطلقًا فى جميع الأوقات .

كنتُ فى يوم نوح نوحًا وفى يوم إبراهيم إبراهيم ،

وفى يوم موسى موسى ، وفى يوم عيسى عيسى ، وفى يوم محمد محمدًا ، وفى يوم على عليًّا ، إلى أن يقول فى الختام .. كنت فى كل ظهور حجة الله على العالمين .

وقال عن نفسه فى البيان : إنه ما خلق الله له من كفء ولا عدل ولا شبيه ولا قرين ولا مثال .

ثم أعلن أنه حضرة النقطة التى جاء منها الكل ، وأنه أول الظهورات الربانية .

ثم قال فى جرأة عجيبة :

أنا قيوم الأسماء ، مضى من ظهورى ما مضى ، وصبرت حتى يمحص الكل ، و لا يبقى إلا وجهى ، وأعلم بأنه لست أنا ، بل أنا مرآة ، فإنه لا يرى فىّ إلا الله . وفى آخر أيامه يكتب وصيته إلى خليفته صبح الأزل فيبدؤها قائلا :

هذا كتاب من عند الله المهيمن القيوم إلى الله المهيمن القيوم .

ويفصل هذا الإبهام فيقول :

قل كل من نقطة البيان ليبدأون أن ياأسمه الوحيد ، فاحفظ ما نزل فى البيان وأمر به ، فإنك على صراط مستقيم .

وكان البابيون يسمونه حضرة الرب الأعلى .

وقال الجلبائيجانى داعية البهائية فى كتابه الفرائد .. نحن لا نعتقد فى الميرزا على محمد الباب إلا أنه رب وإله .

وهكذا أعطى نفسه الربوبية الكبرى ، ولخليفته صبح الأزل الزبوبية الصغرى .

فأين هذا الاستكبار والتعالى من تواضع محمد عليه الصلاة والسلام ، سيد البشر وخاتم المرسلين ، ذلك التواضع الذى رباه عليه ربه ، إذ يقول له فى القرآن :

﴿ قل ما كنت بدعًا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ﴾ .

[٩ - الأحقاف]

﴿ قل لا أملك لنفسى نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله ﴾ .

[١٨٨ - الأعراف]

﴿ قل إنى لا أملك لكم ضرًّا ولا رشدًا ﴾ .

[٢١ - الجن]

أين هذا من حضرة الباب الشيرازى الذى ادعى أنه الله المهيمن القيوم ، وأن عنده علم ما كان وما سيكون .

فارق بين الأرض والسماء ولا يمكن لعاقل أن يسلك هذا مع ذاك ..

وإذا استبعدنا كل ما جاء فى سيرة الاثنين ، وإذا قبلنا اعتراض البابيين والبهائيين بأن كل ما جاء فى

تاريخهم حكايات مفتراة ، فإنه يبقى بعد ذلك شاهد عدل ، هو الكتاب الذى أتى به كل منهما .. يشهد على منزلته ومقامه .. وشتان بين الثرى والثريا .

فإذا جئنا إلى ما أضافه الباب الشيرازى إلى العقيدة والشريعة ، فسنرى أن القيامة والبعث والحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار والصراط لا وجود لها عنده بالصورة التى نعرفها ، والتى نص عليها القرآن ، وإنما القيامة عنده هى قيامته هو وظهوره ، وهكذا يكون كل نبى قد أقام قيامة خاصة به .. لأن كل نبى كان ظهورًا ربانيًّا .. فإذا آمنت بظهوره فتلك هى الجنة ، وإذا أنكرته فتلك هى النار .

وبهذا قال بهاء الله أيضًا حينما أعلن ظهوره :

يا قوم قد أتى يوم القيامة ، قوموا عن مقاعدكم وسبحوا بحمد ربكم العليم بالحكيم ، ويفسر الآية ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ بمعنى إذا بطلت شريعة

وظهرت شريعة جديدة ، أما البعث والحشر والنشر .. فكل الموجودين الآن هم مبعوثون ومحشورون ، وهم يسمعون الصيحة ويرون القوارع ، ولكنهم فى حجاب غليظ من الشهوات .

وبذلك يقول بهاء الله تلميذه فى كتابه « الأقدس » :

يا جعفر قد تزين المنظر الأكبر ، وظهر الستر المستتر ، ومالك ينادى ويقول .. يا معشر البشر قد أتت الساعة وانشق القمر ، طوبى لعبد شهد وفاز ، وويل لكل منكر مكار .

(الأقدس ص ١٠٣)

وبذلك يقول الشيرازى صراحة فى كتابه البيان :

« أتحسبون أن الحساب والميزان فى غير هذا العالم ، قل سبحان الله عما يظنون .

وإذا صدق كلام الرجل وأنه لا آخرة ، فإنه قد

أصاب من هذه الدنيا أسوأ حساب ، وكان نصيبه الضرب واللطم والسجن والاحتقار والاعدام ، والرمى فى حفرة ، فبئس الآخرة آخرته .

ولكن البهائيين سوف يجادلونك .. ليس المهم الضرب واللطم والسجن والقتل .. مادام القلب مطمئنا بالمعرفة الإلهية وممتلئا بالحق ، فتلك هى الجنة فى الحقيقة ، وإن كان الظاهر أنه فى نار التعذيب .

وسوف نقول لهم : ولماذا كان صاحبهم يهرب من الجنة طول الوقت ، ويصرخ ويرتجف ويتوسل ويرجع ويتوب عن الحق الذى يدعيه .

هى مجرد سفسطة .. وكلام فى كلام .

أما البرزخ عندهم فهو المرحلة بين ظهور نبى وظهور النبى الذى يليه .. وليس البرزخ هو ما بعد الموت كما نفهم نحن .. فإن ما بعد الموت لا يعنيهم .

ومع ذلك فإن الباب يتناقض مع نفسه ، ونراه فى الآية الخاصة بقتل النفس يقول : إن زوجة القاتل محرمة عليه ١٩ سنة ، ويقول : إن كينونته أى كينونة القاتل ، قد خلقت على غير محبة الله ورضائه ، وإنه يدخل النار بعد موته ، ولا يغفر الله له أبدًا ، (الباب السادس عشر من الواحد الحادى عشر من البيان) .

فهنا كلام مناقض عن نار بعد الموت ..

صدق ربنا العظيم حينما قال عن القرآن : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ﴾ . فذلك هو الاختلاف والتناقض فى الكتب المؤلفة ، وبسبب هذا الاختلاف وجدت الطوائف البابية والبهائية التى تؤمن بالنعيم والعذاب بعد الموت ، ولكنه من نوع النعيم الروحى والعذاب الروحى .

* * *

أما الصلاة عندهم فصلاة واحدة فى الصباح .. وصلاة الجماعة ممنوعة إلا فى الجنازة ، ولا صلاة للجمعة عندهم ، والوضوء كل أربعة أيام بماء الورد ، والسجود على البلّور .

والمقصود من الصلاة هو التكبير والتحميد والتعظيم ، قولا وفعلا لحضرة النقطة ، ولهذا كان الشيرازى يقول .. نحن الصلاة (كتاب نقطة الكاف ص ١٤٨) .

والطهر من الجنابة غير واجب ، فكل شىء يطهر بالنسبة لك ، إذا أصبحت بابيًّا حتى الدم والبول والمنى والحدث الأصغر والأكبر ∴ وقبلة الصلاة هى البيت الذى ولد فيه الشيرازى بإيران ، وكذلك الحج ، ويعفى من الحج ما كان دونه ودون إيران البحر ، كما تعفى النساء وعلى الحاج أن يدفع لحراس البيت أربعة مثاقيل ذهب .

ويكفن الميت فى خمسة أثواب حريرية ، ويدفن

فى قبر من البـلور أو المرمر ، ويوضع فى إصبعه خاتم منقوش عليه آية من البيان .

« ولتدفنن فى البللور أو الحجر المصقول ، لعلكم تسكنون ، ولتجعلن الخاتم فى يمينه ينقش عليه آية أمر بها لعلكم تستأنسون » .

ولا أفهم لماذا كل هذه الطقوس بعد الموت مادام لا آخرة ولا بعث . ويحل للزوج أن يرمى يمين الطلاق على زوجته تسع عشرة مرة . ولا يحل الزواج بغير البابى ، ويجوز فيه التعدد لاثنتين فقط فقط ، والشراء والمتعة بغير حصر . والحجاب والنقاب كلاهما محرم .

والصوم يكون لتسعة عشر يومًا من الشروق إلى الزوال ، وأحل الباب لأتباعه خمسة أيام من اللهو والمجون قبل بدء الصيام ، والصبى أقل من ١١ سنة معفى من الصيام ، وكذا الكهل أكبر من ٤٢ سنة ، وحرم الباب التداوى بالأدوية أو التجارة فيها ..

شيء غير مفهوم .. ثم أنتم الدواء لا تملكون ولا تبيعون ولا تشترون ولا تستعملون .

والزكاة هى خمس ما تملك ١٩ ٪ من دخلك ترفع سنويًا للمجلس الأعلى للبابيين فى فلسطين المحتلة .. يقول الباب فى النص الذى يدعى أنه ناسخ للقرآن .. أنتم إذا استطعتم ثلاث من الماس وأربع لعمل ست زمرد وست ياقوت يوم الظهور إلى حروف الواحد (المجلس الأعلى البابى) توصلون (الباب ٥ من الواحد الثامن من البيان) .

واضح أنه يطلب لعصابته مئات الألوف من كل واحد .

ثم تقرأ فى البيان نواهى عجيبة ... لا تركبن البقر ، ولا تحملن عليه من شيء ، إن أنتم بالله وآياته تؤمنون ، ولا تضربن البيضة على شيء يضع ما فيه قبل أن يطبخ .

وهذه هى الشريعة الناسخة للقرآن .. ولا ذكر

فيها لأمور السياسة والحكم والمعاملات ، وإنما تجد محظورات عجيبة وأوامر أعجب ، فلا يجوز الوعظ مثلا إلا بجلوس الواعظ على الكرسى .

ولا تكتب آثارى إلا بأحسن خط إلخ .. إلخ .. إلخ ..

ولا شك أنهم معذورون فى إخفاء هذه الكتب .

بهاء الله ودعوته

حينما شعر الباب الشيرازى بقرب إعدامه جمع مكتوباته وخاتمه ولباسه ومقلمته ومخلفاته فى جعبة ، وأرسلها مع مفتاحها إلى الميرزا صبح الأزل الذى اختاره خليفة بعده ، وأرفق بها وصيته .

الله أكبر تكبيرًا كبيرًا .. هذا كتاب من الله المهيمن القيوم ، إلى الله المهيمن القيوم .. قل كل من الله مبدءون قل كل إلى الله يعودون .

فاحفظ مانزل فى البيان وأمر فإنك لصراط حق عظيم .

وكالعادة تنازع الأتباع الخلافة .. فادعى الميرزا حسين على الأخ الأكبر لصبح الأزل ، أنه الخليفة الحقيقى ، ولكن الباب دفع بأخيه الأصغر صبح الأزل ، إلى المنصب صيانة له ولإخفائه عن

جواسيس الحاكم الذين كانوا يتربصون لاقتلاع البابيين من جذورهم .

وهكذا انقسم الأتباع إلى فرقة لاتعترف إلا بالميرزا يحيى صبح الأزل خليفة ، وهم الذين سموا أنفسهم بالأزليين ، وفرقة تابعت الميرزا حسين على الملقب ببهاء الله ، وسموا أنفسهم بالبهائيين ، وفرقة ثالثة التفت حول الميزرا أسد الله التبريزى ، وسموا أنفسهم بالأسديين ، وفرقة رابعة بقيت على ولائها للشيرازى الباب ، وسموا أنفسهم بالبابيين الخلص .

وانقلب الأدعياء بعضهم على بعض وبدأت التصفية الدموية فأوعز بهاء الله إلى أتباعه بقتل أسد الله ، فقتلوه وأغرقوه فى شط العرب ، بعد أن أوثقوا رجليه بحجر ثقيل .. ثم انقلب الأخ على أخيه ، فطلب بهاء الله من أتباعه شتم أخيه صبح الأزل الملقب بالوحيد ، وقال : انه الوحيد فى

الطغيان لا الوحيد فى الإيمان [الكواكب الدرية ص ٣٩٢] وقال عنه : إنه نقطة الظلمة [بهاء الله والعصر الجديد ص ٢٧] وقال : إنه من المشركين فى كتاب كان بالحق مرقومًا [مفتاح باب الأبواب ص ٣٧٨] ..

وهذا هو بهاء الله نفسه الداعى إلى الحب وإلى السلام ، وإلى توحيد العالم ، وإلى توحيد الأديان ، والقائل : عاشروا مع الأديان بالروح والريحان ، والقائل : إن ملكوت الله ليس جمعية مخصوصة ، فإنك يمكن أن تكون بهائيًّا مسيحيًّا ، أو بهائيًّا ماسونيًّا ، أو بهائيًّا يهوديًّا ، أو بهائيًّا مسلمًا .. [خطابات عبد البهاء ص ٢٢] .

نرى هذا البهاء نفسه يعجز أن يضم أخاه فى ملكوته مع أنهما تحت راية دين واحد ، ونراه يأمر بشتمه ومحاربته ، ونراه يتآمر على رفيق آخر بابى هو أسد الله التبريزى فيقتله .. يحدث هذا بين

الأخوين ، وكلاهما هاربان من جواسيس شاه إيران ، ولاجئان إلى العراق ، وحينما تستعر الحرب بينهما ، وتستحيل المعاشرة ، تنقلهم الحكومة العثمانية إلى إسطنبول ومن إسطنبول إلى أدرنة ثم تفصل بينهما ، فتنفى البهاء وأتباعه إلى عكّا بفلسطين ، وتجلى صبح الأزل وأتباعه إلى ماغوسا بجزيرة قبرص .. وهذا هو البهاء الداعى إلى وحدة العالم ، ووحدة الأديان ، ومعاشرة الفرقاء بالروح والريحان .. ولكنه كلام فى كلام ، وما أسهل الكلام .

بل إنه ليتناقض مع نفسه ومع اقواله ، فنراه بعد أن يفتح ملكوت الله لجميع الأديان ، نراه يعود فيقول فى كتابه الأقدس : « والذى أعرض عن هذا الأمر [أى الدين البهائى] أنه من أصحاب السعير » .

ونقرأ له فى بهاء الله والعصر الجديد ص ١٢٥ : أن التریاق الأعظم والسبب الأتم هو اتحاد من على

الأرض على أمر واحد ، وشريعة واحدة .. فكيف ياسيدنا والأديان على أمر مختلف ، وشرائع مختلفة .. وكيف وأنت القائل فى كلمات مكنونة ص ٤ ، ٥ .

يابن تراب كن أعمى عن مشاهدة أحد سواى ، وأصم عن استماع كلام غيرى ، وجاهلا عن علم دون علمى .

ولكنه كلام فى كلام .

* * *

ولكن بهاء الله لم يكتف بإعلان نفسه خليفة للباب ، بل ما لبث أن اعتلى كرسى النبوة ، وادعى أنه المسيح .. قل : ياقوم قد جاء الروح مرة أخرى ، ليتم ماقال من قبل .. كذلك وعدتم به فى الألواح إن كنتم به من العارفين [مفتاح باب الأبواب ص ٣٨٦] .

واعلم بأن الذى صعد إلى السماء ، قد نزل بالحق ، وكان ربك على ماأقول شهيدًا ، قد تعطر

العالم برجوعه وظهوره [مفتاح باب الأبواب ص ٣٨٢] ثم مالبث ان اعتلى عرش الربوبية .

ياقوم طهروا قلوبكم ، ثم أبصاركم ، لعلكم تعرفون بارئكم فى هذا القميص المقدس اللميع [مبين ص ٣٠] واسمع مايقوله عن نفسه فى سورة الهيكل (بهاء الله والعصر الجديد ص ٥٠) :

لا يرى فى هيكلى إلا هيكل الله ، ولا فى جمالى إلا جماله ، ولا فى كينونتى إلا كينونته ، ولا فى ذاتى إلا ذاته ، ولا فى حركتى إلا حركته ، ولا فى سكونى إلا سكونه ، ولا فى قلمى إلا قلمه العزيز المحمود .
وأيضًا فى كتابه « اقتدار » ص ١١٤ .

إذا يراه [أى يرى أحد الميرزا بهاء] فى الظاهر يجده على هيكل إنسان بين أيدى الطغيان ، وإذ يتفكر فى الباطن يراه مهيمنًا على من فى السموات والأرضين .

وكان يعلم أتباعه بأن يقولوا : أسألك بجمالك الأعلى ، فى هذا القميص الدرى المبارك الأبهى ، بأن تقطعنى عن كل ذكر دون ذكرك [الألواح المباركة ص ١٩٧] وسبحانك يا إله العالم ، ومقصود الأمم ، والظاهر بالاسم الأعظم [طرازات ص ١٨٢] .

ويقول ابنه عباس أفندى : أنا عبد لبهاء الله وحضرته ، ليس له مثيل ولا نظير . [بدائع الآثار ص ١٣٩] ويقول أيضا : أنا أطلب من مقام حضرة بهاء الله أن يمدكم بفرح أبدى ، ويكرمكم فى ملكوته . [بدائع الأسفار ص ٣٧١] .

ويقول بهاء الله حينما شعر بقرب موته : يا أهل الأرض إذا غربت شمس جمالى ، وسترت سماء هيكلى ، لا تضطربوا .. أنا معكم فى كل الأحوال ، وننصركم بالحق إنا كنا قادرين .

وعلى ذلك يقول المستشرق اليهودى جولدزيهر ،

فبهاء الله أعظم من الباب ، لأن الباب هو القائم ، وبهاء الله هو القيوم ، أى الذى يظل ويبقى [العقيدة والشريعة ص ٢٤٤] .

ولهذا أعلن بهاء الله أن الباب الشيرازى كان مجرد المبشر بظهوره ، مثل يوحنا الذى بشر بقدوم المسيح .. وقال أكثر من ذلك .. قال : إنه هو الذى أوحى للباب بكتابه البيان .

* * *

وقد صدق نفسه من كثرة ماادعى ، ومن كثرة ماقال وكتب ، فكان إذا مشى فى الأسواق أسدل برقعًا على وجهه ، لأنه لا أحد يطيق النظر إلى نور وجهه .. ولما مات منع البهائيون نشر صورته .. ولما مات قال أتباعه :

صعد الرب [أى البهاء] إلى مقر عزه الأقدس الأعلى ، وغابت حقيقته المقدسة ، فى هويته الخفية

القصوى ، وكان ذلك فى مايو سنة ١٨٩٢ أى منذ حوالى ٩٢ عامًا ، ودفن فى عكا ، واتخذ قبره قبلة صلاة لكل البهائيين .

وقال أحد أبنائه : إنه جن فى أواخر حياته ، ولكن الابن الأكبر عباس أفندى ، أخفى الأمر ولم يكن يسمح لأحد بزيارته .

وقد حرص البهاء قبل أن يموت أن يكتب فى كتابه الأقدس : أن باب الظهورات الإلهية قد قفل لألف عام . من يدعى أمرًا قبل إتمام ألف سنة كاملة فإنه كذاب مفتر . ومن يؤول هذه الآية أو يفسرها بغير ظاهرها فإنه محروم من روح الله .

يحرم التأويل فى آياته ، وهو الذى استحل تأويل آيات القرآن ، وأخرجها عن ظاهرها إلى ماشاءت له أهواؤه من معان .

وقد فعل من قبله الباب الشيرازى نفس

الشيء ، فأعلن قبل موته قفل باب الظهورات الإلهية لألف عام ، وتنبأ بانتشار ديانته فى تلك المدة ، وبظهور الملك البابى الذى يضع على رأسه تاج البابية ذا الخمس والتسعين جوهرة .

وقد كذبت جميع تنبؤاته ، وما كادت تمضى ثلاث عشرة سنة حتى اعتلى كرسيه من يدعى الربوبية .. وأكثر من ذلك يدعى أنه هو ملهم الباب بكتابه : البيان .

* * *

وقد كان البهاء على صلة بحكومات الاستعمار ، والجهات الأجنبية ، وحينما قبض على رفاقه البابيين فى المؤامرة الفاشلة على الشاه ، وذبحوا وأعدموا رميًا بالرصاص وأحرقت قرة العين زرين تاج ، كان هو مختبئًا فى السفارة الروسية ، ورفض الوزير الروسى المفوض تسليمه وقال : إن الحكومة الروسية ترغب ألا يمسه أحد بسوء ، وأن يكون فى

حفظ وحماية تامة ، ويعترف البهاء بهذه الحقيقة فى كتابه لوح بن ذئب ص ٤٢ :

ياملك الروس .. ولما كنت أسيرًا فى السلاسل والأغلال فى طهران ، نصرنى سفيرك . وفى كتابه إشراقات ص ٦٠ يقول :

خرجنا من الوطن ومعنا فرسان من جانب الدولة العلية ، ودولة الروس إلى أن وردنا العراق بالعزة والاقتدار .

وبعد نفيه ببغداد قدمت له الحكومة الإنجليزية بطريق سفيرها جنسية إنجليزية ، ونقلته ورفاقه إلى الهند المسلمة ، لإثارة الفتن هناك ، تحت رعايتها وحفظها ، ولكنهم وجدوا هناك رجلهم وضالتهم الميرزا غلام القاديانى .. وسيكون لنا مع القاديانى وقفة أخرى .

وقد أنعمت إنجلترا بنيشان فرسان الإمبراطورية على نجل البهاء عباس أفندى ، فوقف يدعو الله فى خشوع :

اللهم أيد الإمبراطور الأعظم ، جورج الخامس ، عاهل إنجلترا ، بتوفيقاتك الرحمانية ، وأدم ظلها الظليل على هذا الإقليم [أى دوام الاستعمار] بعونك وصونك ، وحمايتك ، إنك أنت المقتدر المتعالى ، العزيز الكريم .

وكان هذا التزلف والمداهنة هو حال البهاء وابنه دائما .. فإذا التقى بالبراهمة قال لهم : أنتم على حق ، وبالمسيحيين قال لهم : أنتم على صواب ، وبالملحدين قال لهم : أنتم على الهدى ، وباليهود قال لهم : أنتم على الرشاد ، ونراه يذهب قبل موته بيومين إلى مسجد المسلمين ، فيصلى خلف إمامهم جماعة .

وقد قال ابن عربى هذا الكلام من قبل ، ولكن فى لحظة وجد صوفى .

لقد صار قلبى قابلا كل صورة
فمـرعى لغزلان وديـر لرهبـان
وبيت لأوثـــان وكعبـة طـــائف
وألـواح توراة ومصحف قـرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركـــائبـه فـــالحب دينى وإيمـانى

ولكن صاحبنا البهائى قالها سياسة ومداهنة ، وادعى أنها الصلح الأكبر الذى سوف يصلح العالم ، وقد عجز هو عن الصلح الأصغر ، مع أخيه صبح الأزل .. ويداه ملطختان بقتل رفيقه البابى الميرزا أسد الله التبريزى ، الذى ألقوا به فى شط العرب موثق القدمين بالحجارة ، لمجرد أنه نازعه الخلافة .

* * *

إن القضية قضية إخلاص وليست قضية كلام .. ولقد استطاع غاندى أن يوحد الهند وبها أكثر من ثلاثمائة لغة ، وأكثر من مائة ديانة وطائفة ، وأكثر من أربعمائة مليون مواطن بذلك الصدق والصفاء ، والإخلاص والروحانية التى انفرد بها دون ان يدعى نبوة أو ربوبية ..

أما صاحبنا الميرزا المهيمن القيوم ، فعجز عن توحيد أسرته ، وهى تحت راية دين واحد ، ولغة واحدة ..

أما كلام البهائية عن توحيد اللغات فهو كلام خيالى ، وغير عملى .. وأى لغة سيتوحد تحتها العالم ..أهى لغة الاسبرانتو ؟! وماذا يبقى من كتبهم : البيان ، والأقدس ، والإيقان ، بعد أن تترجم إلى الاسبرانتو ؟! ومن سيفرض على العالم لغة الاسبرانتو ؟! وبأى قوة .. وماذا ستجدى اللغة الواحدة !! وأمامنا لبنان الأهل والوطن فى حرب

بعضها البعض ، من عشر سنوات برغم اللغة الواحدة .. والبيت البهائى نفسه دخل فى تصفية دموية برغم اللغة الواحدة والذين الواحد .

إنها سذاجات حضرة النقطة . ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ [١١٨ ، ١١٩ : هود]
﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ [٢٢ : الروم] .

هذا هو الكلام المحكم .

﴿ ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ﴾ إلى قيام الساعة .

ولكن لماذا هذه المقدمة الطويلة فى الحب والسلام ، وتوحيد الأديان ، وتوحيد الأوطان ، وتوحيد اللغات برغم عدم واقعيتها .. سوف نرى

أن البهاء يمهد بها لأهم بند فى شريعته .. وذلك هو الأمر بإبطال الجهاد .. نفاجأ بذلك فى كتابه إشراقات : ص ١٠٩ :

البشارة الأولى التى منحت من أم الكتاب فى هذا الظهور الأعظم : محو حكم الجهاد من الكتاب .

لأن يقتلكم الكافر خير من أن تقتلوه .
[بهاء الله والعصر الجديد] .

وفى ذلك تلتقى البهائية والقاديانية ، والملل الباطنية بأشكالها .. كلها محت آية السيف ونسخت حكم الجهاد .. لأنها تكلمت بلسان المستعمر ، ولمصلحته وأرادت الإسلام أعزل ، والمسلمين خاضعين أذلاء ، راضين بالظلم .

ليس لأحد أن يعترض على الذين يحكمون على العباد [إشراقات ص ١٣٣] :

إن سلاطين العالم مشارق القدرة ومطالع الاقتدار الإلهى [بهاء الله والعصر الجديد ص ١٦٩]

يا أحباء الله يجب عليكم أن تخضعوا لسرير سلطنة كل سلطان ، وتكونوا خاشعين للسدة الملوكية لكل ملك ، وأن تخدموا الملوك بنهاية الصدق والأمانة ، وتكونوا مطيعين لهم ، وألا تتدخلوا فى الأمور السياسية [بهاء الله والعصر الجديد ص ٢٥٤] .

حرم عليكم حمل آلات الحرب [الأقدس الفقرة ٣٨٣] .

وهذا عبد البهاء عباس أفندى يدعو :

اللهم أيد الإمبراطور الأعظم جورج الخامس ، عاهل إنجلترا بتوفيقاتك الرحمانية ، وأدم ظلها الظليل على هذا الإقليم .. يدعو بدوام ظل الاستعمار الظليل .

وكيف يكون للاستعمار دوام إلا بإبطال شريعة الجهاد .

دين هذا أم سياسة ؟!

* * *

وفى الزواج لم تسمح الشريعة البهائية بالتعدد لأكثر من زوجتين ، ولكنها أباحت نكاح الأقارب « لايحرم نكاح الأقارب مادام البهائيون قلة وضعفاء ، ولما تتقوى البهائية وتزداد نفوسها ، عندئذ يندر وقوع الأزواج بين الأقارب » [خزينة حدود وأحكام ص ١٨٦] ولايحرم من الأقارب إلا أزواج الآباء وهو كلام ضد الفطرة وضد الطبيعة وضد مقتضيات الطب .

أما الزنى فعقوبته تسعة مثاقيل ذهب ، تسلم لبيت العدل فى عكا ..

ويفسر عبد البهاء هذا الحكم فيقول : وهذا

الحكم يتعلق بالزانى غير المحصن ، والزانية غير المحصنة ، أما المحصن والمحصنة فلا حكم عليهما إلا أن يحكم عليهما بيت العدل [مكاتيب عبد البهاء ص ٣٠١] .

ومن اتخذ بكرًا لخدمته لابأس عليه ، كذلك كان الأمر من قلم الوحى بالحق مرقومًا . [الأقدس الفقرة ١٤٢] .

أما اللواط فنرى البهاء يسكت عن ذكر حكمه .

قد حرمت عليكم أزواج آبائكم إنا نستحى أن نذكر حكم الغلمان [الأقدس الفقرة ٢٥٣] .. وهو سكوت غريب وحياد أعجب ، ويبدو أن البهاء قد فهم ولاشك المزاج الأوربى والأمريكى .

وقد رفع البهاء حكم النجاسة عن كل شىء حتى البول والمنى ، والبراز والخنزير ، والكلب ، وقال :

إن كل الأشياء انغمست فى بحر الطهارة فى أول الرضوان ، لما تجلينا على من فى الإمكان بأسمائنا الحسنى وصفاتنا العليا [الأقدس الفقرة ١٦١ ، ١٦٢] .

وأباح البهاء استعمال الذهب والفضة ، ولبس الحرير ، ولكنه منع الوعظ من على المنابر ، واشترط الجلوس على كرسى مثل سلفه الباب .

والغسل الكامل مرة كل أسبوع هو شريعة النظافة عند البهائي ، وفى الصيف تغسل الأرجل كل يوم ، وفى الشتاء كل ثلاثة أيام ، ولا ذكر للوجه واليدين .

والذي يُرَى فى كسائه وسخ أنه لا يصعد دعاؤه إلى الله [الأقدس الفقرة ١٦٤].

ولانفهم ماذا بقى من الوسخ مادام البول

طاهرًا ، والمنى طاهرًا .. فلعل مقصوده بقع الحبر أو الصلصة .. ؟!

* * *

والصلوات ثلاث : الصبح والعصر والمغرب ، كل منها ثلاث ركعات ، وإذا صليت إحداها تكفيك عن الباقى ، ولا صلاة للجماعة إلا على الميت .. وفى السفر يكفى أن تسجد وتقول : سبحان الله ، والقبلة هى بيت البهاء فى عكا أو قبره .. والبهاء نفسه لايصلى لأنه هو القبلة ، فأين يتوجه وهو الحى القيوم فلمن يصلى .

والصيام ١٩ يومًا ، يصوم فيها البهائى من الفجر إلى المغرب ، وينقطع عن الأكل والشرب ، ولكن يباح له مباشرة زوجته ، ويعفى من الصيام : الحامل ، والمريض ، والمسافر ، والكسول ، والهرم ، وعند التكسر والتكاسل لايجوز الصيام أو الصلاة

وهذا حكم الله [خزينة حدود وأحكام ص ٣٧] .

وردًّا على سؤال : « وما حكم الذين يشتغلون بالأمور الهامة » أجاب البهاء : الصوم على النفوس المذكورة رفع [ص ٤٦ خزينة حدود وأحكام] .

والحج يكون لبيت النقطة فى شيراز ، أو بيت البهاء فى بغداد ، ومن الطريف أن إيران هدمت البيت الأول ، والعراق هدمت البيت الثانى ، وكلتا الدولتين حظرتا النشاط البهائى فيهما .

فلمن يحجون الآن .. ؟!

* * *

ويفتخر البهائيون فى شريعتهم بالمساواة بين الرجال والنساء ، ومع ذلك رأيناهم فى الميراث يقولون : إن الدار المسكونة للولد البكر ، خاصة مع توابعها من إصطبل ومضيف أو خلوة [خزينة حدود

وأحكام ص ١٢٦] كما رأينا البهاء يوصى بالخلافة لابنه عباس ، وليس لابنته ، ورأينا الابن عباسا يوصى بالخلافة لحفيده شوقى وليس لإبنته .

ويبدو أن البهاء لم يستطع أن يحقق كل الآمال المرجوة لعاشقات المساواة .

البهائي والقادياني

أسوأ ما أتت به البهائية هو الخلط فى مقام التوحيد ، ودعوى الربوبية ، بالنسبة للقائم ، وهو نفس الخلط الذى وقعت فيه البابية والإسماعيلية الباطنية ، والإمامية ، والقاديانية ، والطرق الصوفية القائلة بالحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود ، وكانت بداية الانزلاق هى كلمات ظاهرها برىء مثل : التجلى والفيض والظهور ، اشترك الكل فى تداولها وترويجها ، حين عمدوا إلى توصيف الكون المخلوق ، فاعتبروه تجليا للخالق سبحانه وتعالى ، فيضًا له ، وظهورًا لهويته ، وهذا التوصيف يوهم بأن الخلق عين الخالق ، لأنه ظهوره وتجليه ، ومعنى ذلك أن الخلق والخالق مشتركان فى العين ، وأن الخلق عين الخالق ، فأصبح الباب هو عين الرب فى مقام الظهور .

واستدعى هذا من الصوفية الحلولية أن تؤلف لنفسها فلسفة تقول فيها : إن الله فى ذاته غير قابل للمعرفة أو الإدراك ، لأنه غاية التجريد والإطلاق ، ولأنه فى ذاته ليس له اسم ولا رسم ، ولا وصف ولا فعل .. ولما أراد ربنا تبارك وتعالى أن يعرف ، كان لابد له أن يتنزل من رتبة التجريد والإطلاق ، ويتجسد فى هيكل أولى هو حضرة النقطة ، ومن ثم كان حضرة النقطة هو الظهور الربانى الأول ، وحضرة النقطة هو الذى له الأسماء الحسنى ، والصفات والأفعال والهيمنة على العالم ، أما الذات الإلهية فليس لها اسم ولا رسم ، ولا وصف ولا فعل .. ثم إنه من هذه النقطة انداحت الدوائر بلا نهاية « وهى الأسماء والمخلوقات والأكوان بلا عدد » .

ومن هنا قال حضرة النقطة الباب الشيرازى فى افتراء جرىء : كنت يومًا آدم ، وكنت يومًا نوحًا ،

وكنت يومًا إدريس ، وكنت يومًا موسى ، وكنت يومًا عيسى ، وكنت يومًا محمدًا .. بمثل ماقال الصوفية عن الحقيقة المحمدية : إنها دارت فى كل الأنبياء ، حتى تجلت كاملة فى النبى الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام .. وكان أولى بهم ماداموا قد بدءوا من المسلمة الأولى أن الله فى ذاته لايدرك ، ولايعرف ، أن يسكتوا تأدبًا ، ولايفيضوا فيما لايدرك ، وأن يقولوا كما قال أبو بكر : إن العجز عن درك الإدراك إدراك .. أى أنى قد عرفت الله بالعجز عن معرفته ، وأن يلتزموا بمعانى القرآن الكريم ، أن الكون المخلوق من صنع الله ، ومن خلقه ، وليس هو عين ظهور الله ، وفارق كبير بين الكلمتين .. ماقاله جبريل : بأن الله خلق الكون ، وماقالوا هم بأن الكون هو ظهور الله .. إنها مجرد كلمة بريئة ، ومجرد تصرف بسيط فى الألفاظ ، ولكنه أودى بالجمع إلى الكفر .

ومن عجب أن الميرزا بهاء الله ادعى الأمية ، وأنه لم يفتح كتابًا ، ولم يتل حرفًا ، وأنه حتى لم يطلع على صحف البيان لسيده ومولاه الشيرازى « مع أنه تلميذه وتابعه » وهو كذب صراح .

فأى تلاوة لكتبه وعباراته تؤكد أنه غارق فى الفلسفات الباطنية لأذنيه ، وأنه يعب عبًّا من فكر الجيلى وابن عربى والحلاج وغيرهم ، ولنسمع منه هذه العبارة : فلما أراد الخلق البديع ، فصل النقطة الظاهرة المشرقة من أفق الإرادة .. دارت فى كل بيت على كل هيئة ، إلى أن بلغت منتهى المقام ، أمرًا من لدن الله مولى الأنام ، وأنها هى مركز دائرة الأسماء ، ومختم ظهورات الحروف ، فى ملكوت الإنشاء . ومنها برز ما دل على السر الأكتم الحاكى عن الاسم الأعظم فى الصحيفة النوراء ، والورقة المقدسة المباركة البيضاء .

وروائح ابن عربى تفوح من الأسلوب لكل قارئ خبير .

* * *

وحكاية النقطة والدائرة هى الإفك القديم ، والتراث المشترك الذى غرق فيه الكل ، ولكن ابن عربى - وهو المفكر الفحل - لم يقع فى صغار ادعاء الربوبية ، واستعاذ بالله ، واستدرك وأعلن البراءة من أى قول يوهم بوحدة الوجود أو الحلول ، أو الاتحاد ، ووصف هذه العبارات الحلولية بأنها سكر وشطح وسوء أدب من العبد على بساط القرب ، وأنها سقطات لايأتيها العارفون الكمَّل ، ووضع يده على الغلطة التى وقع فيها الحلوليون ، وذلك بأنهم خلطوا بين الظاهر وبين المظاهر .. فما حولنا إلا مظاهر وما نحن إلا مظاهر ، وشتان بين الظاهر والمظاهر .. فالله يبدى الباديات ويعيدها ، ولكنه ليس عينها ، بل هو متعال عليها ، ومفارق لها ،

وأقصى ما يسمح به هو القول بالقرب ، والقرب درجات : أعلاها درجة قاب قوسين أو أدنى التى بلغها نبينا الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام ، سيد الخلق وإمام العابدين .. وأقصى الممكن أن نتقرب إلى الله بالتحلى بأوصافه ، أما التوحد فى العين فأمر محال .

فكنه وصفا ولاتكنه ذاتا .

فحكم المحال باد .

فالعبد عبد ولم يزل ، والرب رب ولم يزل ، ولا وجه للتخليط بين الاثنين ، والله واحد أحد بكمال نعوته وأوصافه ، ولم يجرده ابن عربى من نعوته وأوصافه فقال :

أحد ما مثله أحد .

بكمال النعت منفرد .

ولكن الحلاج المتهتك الذى قال :

مـازجت روحـك روحى

فى دنـوى وبـعـادى

فـكـمـا أنـت كـمـا

أنـك أنى ومـرادى

والصوفى المتهتك الآخر الذى قال :

وهل أنا إلا أنت ذاتًا ووحدة

وهل أنت إلا نفس عين هويتى .

هؤلاء كانوا أصل البلاء ، وهم الذين فتحوا الباب على مصراعيه لمدعى الربوبية ، ووجد بعضهم الجرأة أمثال الجلباجيئانى داعية البهائية لأن يقول :

تعدد الآلهة لا ينافى وحدة ذات الله تعالى .

ولما جاء الشيرازى ، ومن بعده الداهية بهاء الله وجدا هذا الميراث المختلط من الأقوال الصوفية والباطنية ، وعثرا على المتاهة التى يستدرجان إليها الأتباع ، ويصطنعان منها هالات القداسة ، ويتعلمان

فنون الإبهام والاستسرار ، ويتقنان الكلام المطلسم .. وماكان الباب صوفيًا ولاكان وريثه بل كانا أهل دهاء وسياسة ، وما أرادا دينًا بل أرادا جاهًا وتسلطًا وفتنة .

* * *

وليدخل البهاء منتدى النبوة بلا معجزات ، أنكر المعجزات وقام بتأويل آيات المعجزات كلها ، فموسى لم يشق البحر بعصاه ، بل كانت العصا رمزًا للفرقان الذى شق به الحق من الباطل ، ويده التى أخرجها بيضاء من غير سوء ، هى يد التفضل والإنعام والتنوير ، وعيسى لم يحى الأجساد الميتة ، بل النفوس الميتة ، ولم يفتح العيون العمياء ، بل فتح البصائر .. والناقة التى عقرها قوم صالح هى نفسهم التى أهلكوها ، والنار التى دخلها إبراهيم هى نار الإغاظة التى صارت بردًا وسلامًا ..

وهكذا .. لا معجزات ، ولاخوارق ، وإنما رموز وإشارات يفهمها اللبيب ، وما كانت معجزة موسى

إلا شريعته ، وما كانت معجزة محمد إلا قرآنه الكريم .. وها نحن نأتى بما هو أحسن .. بالبيان والإيقان ، والأقدس . ويقول البهاء عن نفسه وعن يوم ظهوره :

هذا يوم لو أدركه محمد رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم لقال : قد عرفناك يامقصود المرسلين ، ولو أدركه الخليل إبراهيم ، لوضع وجهه على التراب خاضعًا لله وقال : قد اطمأن قلبى ياإله من فى ملكوت السموات والأرضين [مجموعة الألواح المباركة ص ٩٤] .

وليطمئن البهاء أتباعه قال لهم : إن مشاهد الجنة والنار ماهى إلا رموز هى الأخرى ، وإشارات ، أما حقيقة الجنة فهى راحة النفوس ، وفرحتها بالإيمان به ، وحقيقة النار هى عذابها وسعيرهابكفرها وانكسارها .. وما الشياطين والملائكة إلا رموز للخواطر الشريرة ، والخواطر الخيرة .. وما الحشر

إلا ما نحن فيه الآن « فى قيامة الظهور البهائى » فسارعوا إلى مغفرة من ربكم ورحمة ، واتبعونى تفوزوا بالرضوان ..

وأخفى هذه الأقوال فلم يسطرها فى صحيفة ، ولا فى كتاب ، وإنما ألقاها للخواص ليلقوها شفاهًا لمن يأنسون منه القبول والفهم ، وأكثرها كانت استمرارا لتأويل الباب وتعاليمه .

وقد تنبأ البهاء بانتشار دينه ، وظهور اسمه فى عموم العراق ، فزعم أن الله قال له : ينبغى لأهل العراق أن يفتخروا بك .. سوف يفتخرون ولكنهم اليوم لايفقهون .

[سورة الأمين ص ١٩]

كما تنبأ بانقلاب إيران واعتناقها لديانته فقال عن العاصمة طهران : يا أرض الطاء لاتحزنى من شىء ، قد جعلك الله مطلع فرح العالمين ، سوف

تنقلب فيك الأمور ، ويحكم عليك جمهور الناس أن ربك هو العليم المحيط ، سوف يأخذك الاطمئنان بعد الاضطراب ، كذلك قضى الأمر فى كتاب بديع .

[الأقدس ، وأيضًا بهاء الله والعصر الجديد ص ٢٣٣]

وكذب الله النبوءتين ، فقد هدمت العراق بيته ، كما هدمت إيران بيت الشيرازى، وحظرت الحكومتان نشاط البهائية ، وأغلقت محافلها .. كما أغلقت محافلها فى مصر وسوريا ، وباكستان وأفغانستان والمغرب وليبيا .. ولم تحتضنها إلا فلسطين الصهيونية ويهود شيكاغو وأوربا .

وقد ادعى الباب الشيرازى أن كتابه : البيان ، موحى به من الله ، فسلط عليه الله من يكذبه ، فقام تلميذه البهاء ليقول :

ياملأ البيان إنا دخلنا مكتب الله ، إذ أنتم

راقدون ، ولاحظنا اللوح « البيان » إذ أنتم نائمون ، تالله الحق قد قرأناه قبل نزوله ، وأنتم غافلون ، قد أحطنا بالكتاب « البيان » إذ كنتم فى الأصلاب يشهد الله بذلك ما فى علم الله لو أنتم تعرفون . [الأقدس] .

ثم قال صراحة : إنه هو الذى أوحى بكتاب البيان للباب ، قد نزلنا البيان ، وجعلناه بشارة للناس ، لئلا يضلوا السبيل . [المبين ص ٤]

يقول المستشرق الإنجليزى براون فى مقدمة نقطة الكاف : إن البهائيين يكذبون إلى حد لايعرف وجه الصدق فى كلامهم ، مهما أمعن الواحد النظر ، وحاول التفتيش والتحقيق والتنقيب .. وإن البهائيين يقلبون الحقائق ، ويغيرون الوقائع بدرجة يستحيل معها معرفة تاريخ القوم ، وحقيقة عقائدهم خاصة خارج إيران فى أوربا وأمريكا ، وأنهم يخفون كتبهم ومخطوطاتهم عمدًا .

وقد وصى البهاء لابنه عباس أفندى ، أو عبد البهاء بالخلافة من بعده ، وقد علمنا ما كان من علاقة عباس أفندى بالإنجليز ، وإنعامهم عليه بنيشان فرسان الإمبراطورية البريطانية ، واحتفالهم بذلك فى حديقة الحاكم ، وبحضور الجنرال اللنبى .. ودعاء عباس أفندى بدوام ظل الاستعمار الظليل على البلاد .

وكان طبيعيًّا أن يحتفى الإنجليز والصهاينة بعباس أفندى ، وأن يهيئوا له سياحة إلى أوربا وأمريكا ، ينتقل فيها من لندن إلى باريس ، إلى بودابست ، إلى فيينا ويلتقى بالمحافل البهائية هناك .

* * *

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى أصبح عبد البهاء سجينًا للحكومة التركية فى عكا ، وقبل سقوط فلسطين وحيفا حوصر آل البهاء بدارهم .

ويكتب شوقى أفندى خليفة عباس ووارثه عن ذلك يقول :

فاضطربَ الإنجليز وفى مقدمتهم لورد كرزن ووزير الخارجية اللورد بلفور « وكلنا نعرف من هو بلفور » .

فأرسلوا برقية مستعجلة إلى قائد القوات الجنرال اللنبى ، وأكدوا عليه بأن يسعى ويحاول قدر جهده للحفاظ على عبد البهاء وأسرته وأتباعه .

وقد علمنا لماذا تبذل الحكومة الإنجليزية ، ولماذا يبذل اللورد بلفور أقصى جهده للحفاظ على البهاء وأسرته .

ولنتعرف أكثر على حقيقة مايجرى فى العالم ، فينبغى أن نمد أبصارنا إلى الهند ، فى نفس الفترة . لنتابع فتنة أخرى تزامنت مع الفتنة البهائية هى القاديانية التى ظهرت فى الهند بزعامة الميرزا غلام

أحمد ، والذى ادعى فيها الميرزا غلام أن روح المسيح حلت فيه ، وأن الشمس والقمر خسفا من أجله وكان ذلك فى عام ١٨٩٤ .. وهى نفس الفترة التى كانت الدعوة البهائية فى ذروتها .

ولنقرأ مايقوله الميرزا غلام أحمد القاديانى عن نفسه وبنص كلماته :

لما توفى والدى ناب عنه أخى الكبير ميرزا غلام قادر ، فى خدمة الحكومة البريطانية ، فشملته الحكومة هو الآخر بعنايتها وإكرامها ، وفضلها وجوائزها ، ولما توفى هو الآخر اقتفيت آثاره ، وسلكت مسلكه فى إعلان الحب والولاء للحكومة البريطانية ، والطاعة لها وخدمتها .

إنى أعيش فى هذه الأيام عيشة العزلة ، ولا أملك قدرًا كافيا من المال ، إلا أننى كرست جهودى كلها فى خدمة الإنجليز من كل قلبى ، وقد عاهدت الله

منذ ذلك الحين أننى لن أكتب شيئا ضد هذه الحكومة [نور الحق للقاديانى ص ٣٥] .

ولم تبخل عائلتى ولم تضن ، ولن تبخل بدماء أبنائها فى خدمة مصالح الحكومة الإنجليزية أبدًا [ترياق القلوب لميرزا أحمد ص ١٥] .

وفى موضع آخر :

لقد قضيت معظم عمرى فى تأييد الحكومة الإنجليزية ومؤازرتها ، وقد ألفت فى ابطال شريعة الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات مالوجمع بعضها إلى بعض ، لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية ، ومصر والشام وكابل والروم [ملحق كتاب شهادة القرآن الكريم ص ١٠] .

ويقول :

لا يمكننى أن أحقق دعوتى كمال التحقيق

مكة ، ولا فى المدينة ، ولا فى الروم ، ولا فى الشام ، ولا فى فارس ، ولكن تحت هذه الحكومة « الحكومة الإنجليزية » التى أدعو لها بالازدهار والانتصار .

ويقول لأتباعه :

اعرفوا هذه النعمة الإلهية ، نعمة وجود الحكومة البريطانية ، واعلموا أن الله ما أتى بالحكومة الإنجليزية إلى البلاد إلا لصالحكم ، فإن حلت بهذه الحكومة آفة من الآفات فستبيدكم هذه الآفة أيضا [القاديانية للمودودى ص ٨٨] .

وقد أمدت الحكومة الإنجليزية الميرزا وأتباعه بخير جواسيسها ، لخدمة مصالحها الاستعمارية ، ومنهم : عبد اللطيف القاديانى ، الذى أعدم فى أفغانستان ، والملا نور على القاديانى ، وقد عثرت الحكومة الأفغانية معه على وثائق ورسائل خطية تثبت عمالته للحكومة الإنجليزية ، فأعدمته هو الآخر .

وفى عام ١٩٠٨ أعلن الميرزا غلام أحمد القاديانى أنه نبى :

دعوانا أنا رسول دينى .. [عدد البدر ٥ مارس سنة ١٩٠٨] .

وكتب خليفته بشير أحمد القاديانى :

بما أننا نؤمن بنبوة ميرزا غلام ، والمسلمون لا يؤمنون بها ، فهم كفار بحسب ماجاء فى القرآن الكريم ، فإن الكفر ولو بنبى واحد هو كفر بالله .

وقال فى تبجح عجيب :

إن غلام أحمد أفضل من بعض أولى العزم من الرسل [حقيقة النبوة ص ٢٥٥] .

ومن دعاوى هذا الميرزا غلام أحمد ماكتبه لعلماء الهند ، ولكافة البلاد الإسلامية : أن الله قد بعثنى مجددا على رأس هذه المائة ، وأعطانى علومًا ومعارف تجب لإصلاح هذه الأمة ووهب لى من لدنه علما حيًّا لإتمام الحجة على الكفرة ، وجعلنى من المحدثين

الملهمين ، وأكمل على نعمه ، وأتم فضله ، وسمانى المسيح بن مريم بالفضل والرحمة ، وقدر بينى وبينه تشابه الفطرة ، ووهب لى علومًا مقدسة نقية ، ومعارف صافية جلية ، وصب فى قلبى مالم يحيطوا به علمًا .

ومن آلائه أنه خاطبنى قائلا : أنت وجيه فى حضرتى ، اخترتك لنفسى ، وقال : أنت منى بمنزلة لايعلمها الخلق ، وقال : أنت منى بمنزلة توحيدى وتفريدى ، وقال : ياأحمد أنت مرادى ومعى يحمدك الله من عرشه .

وقال : أنت عيسى الذى لا يضاع وقته .. كمثلك در لا يضاع .

قل إنى أمرت وأنا أول المؤمنين ، وقال : اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم .

وقال : وما أرسلناك إلا رحمة للعاملين .

كلام .. كلام كثير .. ومنشورات بلا عدد .. وكتب هى فى ظاهرها ديانات .. ولكنها فى الحقيقة سياسات .. وراءها ماكرون صغار ، أمثال الميرزا الشيرازى ، والميرزا بهاء ، والميرزا غلام أحمد .. وخلف الماكرين الصغار ماكرون كبار ، هى القوى الكبرى المستفيدة التى تخطط لدمارنا .

وإذا كانت هذه الديانات قد اتفقت على اختلاف زعاماتها وأماكنها على محو آية السيف ، وإبطال الجهاد .. كما اتفقت على الولاء للأجنبى .. فعلينا اتفقوا ، وعلينا تحالفوا .. وقد برح الخفاء وظهر لكل ذى عينين من أى سماوات تتنزل هذه الأديان .

ذلك الإفكُ القــديم

وهو إفك قديم قدم التاريخ.. حينما كان الإنسان البدائى يؤله أجداده الموتى ويعبدهم، ثم اعتقد أن أرواح الآباء والأجداد تحل فى الأشجار وفى الحيوانات فبدأ يعبد الأسد والثعلب والثعبان والضبع والقط ويقدم لها القرابين وهو ما عرف بالعبادات الطوطمية ومن هذه الآلهة الفرعونية كان حورس وأمينوبيس.. ثم اتخذ قدماء المصريين من حكامهم آلهة، وتعددت الآلهة بعدد الرعامسة الذين حكموا مصر وأصبح كل من يصعد على عرش مصر يصبح إلها.. حتى أخناتون صاحب مذهب التوحيد قال فى ختام نشيده المشهور مخاطبًا إلهه الواحد..

احفظ ابنك من صلبك
ملك الوجه البحرى والقبلى أخناتون
فجعل من نفسه ابنا لله من صلبه.

ثم أصبحت عادة أن يؤله المصريون عظماءهم . . فجعلوا من المهندس الطبيب أمنحتب إلها وعبدوه وصنعوا له التماثيل وقدموا له القرابين.

ورغم نزول الأديان السماوية ومجيء الإسلام نافيًا للشرك ومؤكدًا على التوحيد وأن الله متعالٍ على البشر لم يلد ولم يولد وليس كمثله شيء . . إلا أن هذا الضعف المصرى القديم فى تأليه الحكام وعبادة العظماء ظل يختفى ويظهر . . مرارًا على مدى التاريخ .

وحينما جاء الحاكم بأمر الله الفاطمى على عرش مصر بشخصيته العجيبة، وبغرامه بالنجوم والفلك والشعر وبأطواره الغريبة ثم صعد إلى الجبل ليرصد الكواكب واختفى ولم يعد . . بدأت تحاك حوله الأساطير ووجد محمد بن إسماعيل الدرزى (واسمه الأصلى نشتكين وهو يهودى وفى قول آخر مجوسى) وجد الفرصة ليروج أسطورة ألوهية الحاكم .

وكان أقرب الناس إلى الحاكم بأمر الله هو صفيه

وخليله حمزة بن على، وكان هو اليد الثانية التى نسجت هذه الأسطورة وأكدتها، فقد وضع حمزة ميثاقًا أسماه ميثاق ولى الزمان، أعلن فيه ألوهية الحاكم بأمر الله إعلانًا صريحًا وأوجب فيه على الكل عبادته.. وقال فى ميثاقه:

إنى قد تبرأت من جميع الديانات والمذاهب والمقالات والاعتقادات جميعها، وإنى لا أشرك فى عبادة مولانا الحاكم - جل ذكره - أحدًا.. وإنى أسلمت روحى وجسمى إليه.. وإنه لم يعد لى فى السماء إله معبود ولا فى الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره وتعالت مطالعه ومشارقه.

وهذه عبارات مما يسميه الدروز «مصحف المنفرد بذاته».. وهو من أصول العقيدة الدرزية التى نشأت وتطورت وتكاثر أتباعها بعد اختفاء الحاكم بأمر الله، واختلاف الأقوال حول مقتله وموته أو عدم موته ورفعه إلى السماء أو تناسخه فى كل مولود وموجود إلى آخر هذه الأساطير.

ومصحف «المنفرد بذاته» يخلع على الحاكم بأمر الله جميع صفات وأسماء الله الحسنى ويحرف الآيات القرآنية ويستخدمها للدلالة على مذهبه، ويمزج أحيانًا بين الآية القرآنية وبين كلامه فى تخليط متعمد.

يقول فى صحيفة «عرف الرحمة»:

قل لا ييأس من روح الله الحاكم إلا الكافرون وما كان لموحد ولا لموحدة، إذا قضى مولانا الحاكم البارى أمرًا من أمور دنياهم أو نسخ حكمًا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص مولانا فى أوامره ونواهيه فقد انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وضل ضلالاً مبينًا.

وبعض الدروز يفلسفون مذهبهم فيقولون: إن الله اتخذ لنفسه صورة إنسية عرفها الناس باسم الحاكم بأمر الله مثلما يتخذ الإنسان ثيابًا له يرتديها ثم يطرحها ويلبس غيرها، والثياب ليست من جنس من يرتديها ولا تشبهه فى شىء.. وهو كلام

شبيه باللاهوت والناسوت فى المذاهب النصرانية التى قالت بألوهية المسيح.

وفى الرسالة ٤٤ من كتاب مذهب الدروز والتوحيد.. يقول حمزة بن على.. إن الله ظهر بالشكل البشرى لأن حكمته قضت بذلك إشفاقًا على جهل العالم المتمسك بالمحسوسات، وامتحانًا لهم لتكمل عليهم الحجة.

وفى الرسالة ٤١ يقول حمزة عن مولاه:

وحين كان يركب الأتان للخروج كان للأتان ظل ولم يكن لمولانا ظل.. وهو كلام قالوا مثله فى المسيح من قبل.

وكالعادة تلفعت هذه الأساطير الدرزية بالفلسفات الباطنية، واستعارت لنفسها الكثير من فلسفات اليونان، ومن أقوال أفلاطون وأفلوطين وفيثاغورث وأخذت عن البوذية حكاية النقطة والدائرة. وللدروز كتاب بهذا الاسم (النقط

والدوائر) والنقطة فى تصورهم هى العقل الكلى، والدائرة هى النفس الكلية.. وعن العقل الكلى والنفس الكلية جاءت كل العقول وكل النفوس وكل الموجودات.. ويقول حمزة بن على عن نفسه إنه المقصود فى القرآن بالطور والكتاب والمسطور والبيت المعمور، ويقول عن نفسه إنه صاحب النعم وناسخ الشرائع ومبطل الشهادتين، ويقول إنه النار الموقدة التى تطلع على الأفئدة.. وإن الحاكم بأمر الله هو الله.. وإن الله خلق النقطة التى هى حمزة بن على ومن النقطة جاءت كل العوالم والأرواح.

إذن حمزة بن على هو نقطة أخرى جاءت سابقة على نقطة الباب الشيرازى.. والإفك كان ينادى على بعضه.

ولا يقبل الدروز أحدًا فى دينهم ولا يسمحون لأحد بالخروج منه ولا يعترفون من الصحابة إلا بسلمان الفارسى وعمار بن ياسر وأبى ذر الغفارى والمقداد بن الأسود وفوقهم جميعًا على بن

أبي طالب . ويعتقدون بالتناسخ وتقمص الأرواح .

ويوم القيامة عندهم هو يوم يظهر فيه مولانا الحاكم بالصورة الناسوتية من جديد ليحكم على العالم بالسيف، فيبيد الفرق الضالة ولا تنجو من الإبادة إلا الفرق التى آمنت به وعرفته . . أما الذين أبادهم فيولدون من جديد على حكم التناسخ .

والشريعة الدرزية تتألف من ستة عشر كتابًا مخطوطًا لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها .

والنظام الدرزى نظام حربى يتكون بشكل هرمى . . العلماء على القمة . . والدهماء فى القاعدة .

ولا تجد درزيًا يكاشفك بدينه أو يفصح لك بأسرار شريعته .

والعارفون بأسرار المذهب الدرزى قليلون . ولذلك كثر الخلط وكثرت الكتب وكثر الغموض . . ولكن ظلت قضية تأليه الحاكم هى القضية المحورية

فى جميع الكتب. ولكنك قد تجد الكثيرين من الدروز لا يرون فى الحاكم بأمر الله أكثر من إمام يبجلونه ثم لا يزيدون، وتراهم فى حياتهم ملتزمون بأحكام الإسلام وعباداته صلاة وصيامًا وحجًا ولا يؤمنون بغير القرآن ولا يستنون إلا بسنة محمد عليه الصلاة والسلام سلوكًا وخلقًا وطهارة وتقوى.. وقد حارب منهم واستشهد الكثيرون مع صلاح الدين الأيوبى وكسروا الغزوة الصليبية، كما حارب الكثير منهم مع قطز وكسروا التتار.

وسوف يظل الدروز لغزًا.. وسوف يظل الحكم العام على فكرهم ومذهبهم أمرًا مستحيلاً.

وما يقال عن الدروز يقال عن العلويين ومذهبهم.

والعلويون شيعة من أتباع سيدنا على بن أبى طالب ومن المتشيعين لخلافته ولذريته، وفيهم الغلاة الذين أسرفوا وشطحوا وخرجوا عن التوحيد وعن الإسلام بالكلية، وفيهم أهل الاعتدال وأهل

الفضل ومنهم الصوفى الشاعر الفارس الحسن بن يوسف بن خضر المعروف بالمكزون السنجارى وهو فقيه ومتصوف وكاتب رفيع المقام لا تمل صحبته.

وأكثر العلويين شيعة إمامية صحيحو الإسلام يؤدون الفرائض صلاة وصومًا وحجًا، كما ينبغى أن تؤدى فى غير تبديل أو تحريف.. ولكن ظروف الاضطهاد التى تعرضت لها هذه الفئة القليلة من العلويين بسبب الغزو الصليبى من جهة، والمذابح المتكررة من قبل السلطان سليم التركى من جهة أخرى، والاعتداء من قبل الإسماعيلية من جهة ثالثة، وتكرار القهر والظلم على أحقاب تاريخية أدت بهم إلى الانطواء والعزلة والكبت والقهر مما كان له أثره في نشأة تلك الفئات المتطرفة، وفى نشأة الغلاة الذين انحرفوا من حب سيدنا على إلى عبادته وتأليهه، ومنهم الفئة التى يسميها الشهرستانى بالفئة النصيرية التى جعلت من على ومحمد ﷺ وسلمان الفارسى ثالوثا، عبدوه ورمزوا إليه بالحروف

(ع م س) أى المعنى والاسم والباب.

وقد ذكر صاحب الباكورة السليمانية ١٥ سورة كلها مكرسة لتأليه على والتوكيد على ثالوث (ع م س) ويقول فيها.

اعلم ياولدى أن السماء هى ذات على بن أبى طالب، وهى الجنة الباطنة دون جنة المأوى التى ذكرها القرآن بقوله تجرى من تحتها الأنهار.

وفى سورة الجبل يقول :

اشهد بأن الصورة المرئية التى ظهرت فى البشرية باسم على بن أبى طالب هى الغاية الكلية وهى الظاهرة النورانية، وليس هناك إله سواها وأن ذاته لا يحاط بها ولا تدرك ولا تبصر. . أشهد بأنى نصيرى الدين جلى المقال ميمون الفقه.

وصاحب الباكورة السليمانية هو سليمان الأدنى (نسبة إلى بلد اسمها أدنه) والقول فى هذا الرجل أنه نشأ علويا ثم تحول عن العلوية إلى اليهودية ثم

ما لبث أن تحول إلى البروتستانتية، ثم انتهى أخيرًا إلى أن أصبح راهبًا كاثوليكيا.. ويصفونه بأنه سكير عربيد.. وأنه طرد فى آخر أيامه من الجامعة العلوية.

ورغم كل ما قيل فى الرجل إلا أننا نجد أن هناك باحثًا آخر هو المنتجب العانى يتفق معه فى تأليه على بن أبى طالب، ويكرر معه هذه الآراء الشديدة الغلو حول ما أسماه ظهورات الإله فى المظاهر التى اصطفاها.. وأن سيدنا على بن أبى طالب ظهر من عين الشمس على أسد وسيفه بيده والملائكة خلفه وسلمان الفارسى بين يديه.. يذكر ذلك فى قصيدة بليغة أطلق عليها جذوة التوحيد.. كما أنه يتفق معه فى ثالوث (ع م س) ويقول فى قصيدته:

وللحجاب سجودى مع سجودكم
وللعلى العظيم الشان توحيدى

والعلى العظيم هو على بن أبى طالب.. والحجاب والاسم والباب هو الثالوث.

وهذا الفريق من الغلاة يقدس القمر ويرى أن على بن أبى طالب يسكنه، وهم لهذا يناجون القمر بالأغانى والأشعار عند اكتماله.

وتأتى ذكر «الهبطة» فى الكتب العلوية فى مناسبات عدة.. والهبطة هى إهباط النفوس من عالم الظلال إلى الأرض وإلباس كل نفس قميص (وذلك بالميلاد) تطرحه حين يبلى بالموت لتلبس غيره وتنتقل من قميص إلى قميص.. وهو التقمص أو التناسخ.

وحسب فكرهم أنه جرى تكليف الإنسان مرتين.. مرة فى عالم الظلال.. وذلك هو التكليف بالسجود لآدم وقد دعيت إلى هذا الأمر جميع الملائكة والجن وجميع الإنس الذين كانوا لم يولدوا بعد، وكانوا فى عالم الظل أرواحًا أو نفوسًا مجردة حين ذاك وقد أطاع منهم من أطاع، فسجد مع الملائكة، وعصى منهم من عصى، فرفض السجود مع إبليس وكانوا جنود إبليس من ذلك اليوم، وكان

هذا هو التكليف الأول.

وكان التكليف الثانى بعد الميلاد والنزول للأرض وذلك بالأوامر التى جاءت عن طريق الأنبياء لكل البشر. . وقد اختلفوا أيضًا فكان منهم من أطاع وكان منهم من عصى. . وما كان العصاة فى الثانية إلا العصاة فى الأولى. . فذلك هو عالم الظلال فى الغيب. . وعالم الدوران ومقارعة الشيطان فى عالم الشهادة فى الدنيا.

وللمكزون السنجارى فى النشأتين قصائد جميلة رفيعة المستوى.

والعلويون يؤمنون بالتناسخ والتقمص، ويقولون إن التقمص رأى علمى لا يخرج صاحبه عن الإيمان ولا يقدح فى صحة توحيده.

والعلوية مذهب يحوطه الغموض وتحف به السرية ويحرسه الكتم.

والحكم العام على العلويين مستحيل لأن كثرتهم

لا تؤله عليًّا وإنما تحترمه وتجله ولا تزيد.. والغلاة والمتطرفون الذين أخذوا بعقيدة التأليه قلة وأظنهم يتناقصون بسرعة، فى هذا العصر الذى صعد فيه الإنسان إلى الفضاء، ومشى على القمر فلم ير فيه عليا ولم ير سلمان الفارسى.. وإنما رأى أرضًا جرداء لا ماء فيها ولا هواء ولا حياة.

إنما هى أصداء لذلك الإفك القديم.. حينما كان الإنسان البدائى يؤله الرعد والمطر ويعبد الكواكب والأجداد ويرفع عظماءه إلى أعتاب القداسة.

ختم النبوة

التسلل إلى منتدى الأنبياء ، وادعاء النبوة هواية قديمة قدم التاريخ ، بحكم ما جبلت عليه النفوس البشرية من حب الجاه والعظمة ، وليس أعظم من أن تكون نبيًّا ولا جاه يبتغى أكبر من جاه الأنبياء .

ولكن النبوة ختمت بصريح القرآن الكريم .

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [٤٠ : الأحزاب] فكان لابد من التحايل على الآية بتأويلها وصرفها عن ظاهرها .. فقالوا : هو خاتم النبيين ، وليس خاتم الرسل ، فالرسالة قائمة ومفتوحة إلى يوم القيامة ، ونسوا أن الله لم يرسل بالشرائع إلا أنبياء ، وأن كلمة رسول تستتبع حتما أن يكون المرسل نبيًّا ، وأن القرآن الكريم كان صريحًا فى بيان ذلك .

﴿ وما أرسلنا فى قرية من نبى إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء ﴾ . [٩٤ : الأعراف] .

﴿ وكم أرسلنا من نبى فى الأولين ﴾
[٦ : الزخرف] .

﴿ واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصًا وكان رسولا نبيًّا ﴾ [٥١ : مريم] .

﴿ واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيًّا ﴾ [٥٤ : مريم] .

فالرسالة تقتضى النبوة ، وإذا قيل : إن النبوة ختمت فلابد أن تكون الرسالة قد ختمت ضمنًا . فالتحايل الذى لجئوا إليه مكشوف . . .

وكانت العقبة الثانية هى المعجزات التى أتى بها الأنبياء ، بصريح القرآن الكريم .

﴿ قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم ﴾
[٦٩ : الأنبياء] .

﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ﴾ [٦٣ : الشعراء] .

﴿ فألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون ﴾ [٤٥ : الشعراء] .

﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ [٦٤ : هود] .

فتحايلوا على تلك الآيات بالتأويل وقالوا : هى رموز وكنايات ، فعصا موسى كانت رمزًا للشريعة التى فلقت الحق من الباطل ، والحق ابتلع ما يأفكون من أكاذيب ، والنار التى ألقى فيها إبراهيم ، كانت نار الإغاظة ، ولم تكن النار المادية ، والناقة التى عقرها قوم صالح كانت رمزًا لنفوسهم التى أهلكوها ، وما أحيا عيسي موتى ، بل أحيا قلوبًا ، وما فتّح عميانًا بل فتّح بصائر ..

وهكذا أنكروا كل ما خص الله به أنبياءه من

خوارق وكرامات ليدخلوا منتدى النبوة دون بطاقة .. ولكن بقى القرآن الكريم معجزة لا سبيل إليها إلا بتقليد هزيل ، كان شاهدًا عليهم ، لا شاهدًا لهم .

* * *

والأدعياء الذين كانوا أكثر حياء ، اكتفى الواحد منهم بدعوى أنه الوارث المحمدى ، وأنه لا وصول ولا فتح إلا عن طريقه ، وأن لكل زمان وارث واحد ، وأنه ذلك الوارث ، وأنه معصوم ولا ينطق عن الهوى ، وأن رضاه من رضا الله ، وغضبه من غضب الله .. وقد قابلت من هؤلاء العشرات كل واحد فيهم يدعى أنه الوارث الوحيد ، وأن عنده خزانة العلم ، وباب الفتوح ، وأن رضاه عنى شرط رضا الله .

ومن وجد فى نفسه جرأة أكبر قال : إنه المهدى .

وقد قابلت أربعة ، ادعى كل منهم أنه المهدى ،

هذا غير المهدى الذى طلع على الكعبة بالمدافع الرشاشة .

وفى كل عنبر من عنابر الأمراض العقلية صادفت أكثر من مهدى .

وكلما اشتد البلاء بالناس كثر دعاة المهدوية .

وقد كذب الله الجميع بشواهد من سيرتهم ، فما استطاع أحدهم أن يملأ الأرض عدلا ، بعد أن ملئت جورًا ، وإنما زادوها فسادًا على فساد ، وضلالا على ضلال .

* * *

وكانت الغيبة والرجعة وفلسفة الدورات متاهة أخرى احتال بها هؤلاء المدعون .. فيقول لك الواحد منهم : إنه النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى دورته العاشرة ، ثم يقدم لك أصحابه فيقول لك : وهذا أبو بكر ، وهذا على ، وهذا عثمان ، فى

دوراتهم الخاتمة ، ثم ليغويك وليقدم لك حصة مغرية يقول لك : وأنت حمزة البطل وسيكون لك شأن .

وفى شبرا رجل دجَّال له دوسيه فى المباحث يسمى نفسه العشرى [إشارة إلى النبى المبعوث فى دورته العاشرة] ، وهو يدعى أكثر من ذلك ، أنه كان نبى كل الدورات ، فكان آدم فى زمن آدم ، ونوحًا فى زمن نوح ، وإدريس فى زمن إدريس ، وموسى فى زمن موسى ، وعيسى فى زمن عيسى ، إلى آخر هذا الإفك القديم الذى افتراه الباب الشيرازى فى زمانه .

وقد أرسل إلى « كاسيت مسجلا « بدعوته يقول فيه : أنا الساعة .. وبينى وبين الساعة أيام معدودة .. ولما سألته أن يحدد أكثر .. جاءتنى الإجابة إنها أيام معدودة لا سنوات معدودة .. فهى لابد آتية فى مدى أقل من ثلاث سنوات ، لأنها لو بلغت

الثلاث لأضحت سنوات معدودة ، والوحي يؤكد له بالنص أنها أيام معدودة لا سنوات معدودة ..

وقد مضى على الكاسيت وعلى الحادثة سبع سنوات ، ولم تقم الساعة وكذبه الله وأخزاه على لسانه ..

أما جملة ما جاء فى الكاسيت مما يسميه الرجل الأفاك خزانة العلم المكنون ، فلا يزيد حرفاً على دعاوى الشيرازى ، ومفتريات البهاء ، وشعوذات الباطنية ، وتأويلات الشيعة فى القرآن الكريم ، والحشو الذى دسه هواة الطلاسم والحروف ، والأرقام فى كتبهم الصفراء القديمة .

* * *

وفكرة التناسخ والتقمص والرجعة والبعث فى دورات زمنية دنيوية هى ضمن الأفكار المحورية عند الدروز ، كما هى عند الهندوس ، والبوذيين ، والفرق

الباطنية الإسلامية والبابية ، والاثنا عشرية والبهائية .

وإذا صح القول أننا فى زمن ما ، فنحن ولا شك فى زمن الدجال وليس فى زمن المهدى ، وإن لم يظهر الدجال الكبير بعد إلا أن أعوانه قد ظهروا واحتشدوا بخيلهم ورجلهم فى كل بلد ، فلا تكاد العين تلمح إلا دجاجلة وكذبة ، وأدعياء ومروجى فتن .

ونحن ولا شك فى عصر العنف والجريمة والمخدرات والهلاوس .

وراية « لا إله إلا الله » التى كانت راية توحيد جعلوا منها راية تفرقة ، والحرب تراها اليوم بين الشيعى والسنى ، والدرزى والعلوى ، كما ترى تحت الصليب موارنة شمعون ، يقاتلون موارنة فرنجية فى لبنان ، وترى الكاثوليك يذبحون البروتستانت فى

أيرلندة كما ترى تحت راية الشيوعية الكمبودى يحارب الفيتنامى ، والفيتنامي يحارب الصينى .

لم يعد الدين الواحد ينفع ، ولا الملة الواحدة ، ولا البيت الواحد ، ولا الأسرة الواحدة ، ولا الأخ وأخيه ، وأولهم حضرة البهاء وأخيه صبح الأزل الداعيان إلى وحدة الأديان والأوطان ، وقد عجز الواحد منهم عن أن يضع يده فى يد الآخر .

أمثل هذا العالم يقال فيه : إنه فى حاجة إلى دين جديد ، أو شرعة جديدة ، أو نبى جديد ، وقد عمى الناس تماماً عن قراءة الكتب التى بين أيديهم ، وعاد الواحد منهم يتهجى الأبجدية .. ح .. ب .. دون أن يعرف للحرفين معنى ، مع أن معناهما فى فطرته ، بل هما منقوشان فى لوح قلبه .

وما نفع كتاب جديد ، أو نبى جديد لهؤلاء الناس .. وماذا يقول بعد كل ما قيل ، وبعد تكرار

القول وتكرار العبر والمثلات على مدى سبعة آلاف عام .

* * *

وماذا عند حضرة البهاء لهذا العالم وهو ذاته انحراف الفطرة ، وسلوكه يكذبه وسيرته تشهد ضده ، وكلامه يقطر بالتكبر والاستعلاء ، واسمعوه يتمايل مختالا فى قميصه اللميع :

« يا قوم طهروا قلوبكم ثم أبصاركم لعلكم تعرفون بارئكم فى هذا القميص المقدس اللميع »
[مبين ص ٣٠]

واسمعوه يقول عن نفسه فى سورة الهيكل وهو يتمايل طربًا وغرورًا :

لا يرى فى هيكلى إلا هيكل الله ، ولا فى جمالى إلا جماله ولا فى كينونتى إلا كينونته ، ولا فى ذاتى إلا ذاته ، ولا فى حركتى إلا حركته ، ولا فى

سكونى إلا سكونه ، ولا فى قلمى إلا قلمه العزيز المحمود

فأين هذا الغرور والتكبر الساذج من كلمات الله المحكمات عن نفسه فى القرآن الكريم :

﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ .

ذلك هو الكلام الخاتم والقول الفصل . ثم لا مزيد ..

رفعت الأقلام وطويت الصحف .

ربنا ليس فى حاجة إلى قميص لميع ، ولا نقطة ولا شرطة ولا ميرزا .. وهو واحد أحد ، ولن يتطور إلى إثنين أو ثلاثة .. ومراده من مكارم الأخلاق ثبت واستقر وتوثق ، ولن تصبح السرقة فضيلة ولا الكذب شرفا ، ولا الزنى شهامة .. يا قوم قد تبين الرشد من الغى .. وتولى ربنا حفظ كلماته ، ولم يستحفظ عليها حبرًا ولا كاهنًا ، كما حدث أيام

التوراة والإنجيل .. واستقر الأمر وبلغ الكتاب أجله .

وسيظل الزواج أفضل من الزنى إلى أن تقوم الساعة ، وسيظل الصدق أشرف من الكذب ، والأمانة أفضل من الخيانة ، والكرم أفضل من البخل ، وسيضطر إلى ذلك الكل حتى اللصوص فى مواثيقهم ، لأن تلك الأعراف استقرت وترسخت فأصبحت خواتيم .

ولا حاجة إلى نبى بعد محمد عليه الصلاة والسلام ، أو كتاب بعد القرآن الكريم ، إلا أن يكون شرحًا أو فهمًا حسنًا ، فلا جديد فى أمهات المسائل .

ولن يأتى أنبياء بل زواجر وقوارع ، ونذر وبلاء فى أعقاب بلاء ، ومحن فى أعقاب محن ، وفتن كقطع الليل المظلم ، فليقبض كل منكم على قرآنه ،

وليحسن تلاوته وفهمه ، وليحذر أهل الأطماع والأهواء ، وليكن دعاؤه :

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

وليمت على كلمة : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .. قولا وفعلا وشهودًا ، وقلبًا وقالبًا .. وحسبه ذلك .

وليحذر ديانات هى فى حقيقة الأمر سياسات ومكائد ، تريد أن تسلبه روحه بعد أن سلبته لقمته .. ودعاة أكثرهم عملاء يعملون لأنفسهم أو لغيرهم ، أو دهاة يمكرون بالناس .

ولا تتوقعوا ظهور المهدى ، بل الدجال .. وما الطبول التى تدق من حولنا ، ولا الدجاجلة الذين كثروا إلا بشائر ظهور الدجال الأكبر ، فما يرى على مدى البصر إلا شباك من المكر تحاك ..

وما يسمع على البعد إلا صوتِ طامع ، أو شعارات خادع أو تآمر محتال .

والقصعة تكاثر حولها الأكلة ، وانقض عليها القتلة ، والظلم استعلى ، والفحش استعلن ، والإرهاب طالت يده حتى بلغت أعناق الملوك ، وصارت له عزة وصولة .

وطالعوا الصحف لتروها شواهد عدول على ما أقول :

فيم انتظار لمهدى ..
وفيم التطلع إلى نبى ..
والحق بيِّن والطريق واضح ..

وما استعلى الإرهاب وما طالت يده إلا لجبن الجبناء ، وذل الوجهاء الذين آثروا مسالمة الإرهاب التماسًا للأمان ، ولن يبلغوا بهذا الضعف أمنًا ولا أمانا ، بل سيزداد الإرهاب بهم عزة ، ويزداد

الباطل تطاولا ، ثم يكونون هم ضحاياه فى النهاية ، ولا ينفعهم حذر ولا مسالمة ، لأن الغدر لا عهد له ولا ذمة .

وإنما الأمن والأمان لمن قال عنهم ربهم :

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾

هذا هو العهد الحق من القادر بحق على منح الأمن والأمان ، فهل آن الأوان ليدرك الرجال الكبار المزلق الخطر الذى ينزلقون إليه ، فيسارعوا ليجتمعوا على الحق جمعية رجل واحد ، لا لينقذوا بلادهم ، بل لينقذوا رقابهم وكراسيهم من الطوفان القادم .

وهل آن الأوان للصغار أن يكفوا عن الجرى واللهاث خلف المهدى ، وخلف سراب النبى القادم

من غصن يعقوب .. فلن يأتى من غصن يعقوب إلا الدجال الأكبر ، الذى سوف يمكر بهم ويسلبهم ما بقى من عقل ودين ودنيا وآخرة .

الفهرس

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائمًا على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.



